مَوسُوعة النَابُلسِي للعُلوم الإسلاميّة

الفتن

مجموعة محاضرات للدكتور محمد راتب النابلسي



الهدى للخدمات التقنية

www.nabulsi.com

info@nabulsi.com

مقدمة عن الكتاب

نحن في عصر ما أكثر الصوارف عن الدين، وما أكثر العقبات التي تقف بينك و بين الدين، عقباتٌ لا تعد ولا تحصى، وصوارف لا تعد ولا تحصى: فتنة الشاشة، فتنة الإنترنت، فتنة المحمول، فتنة الاختلاط، فتنة المجلات، فتنة السينما، فتنة المرأة الكاسية العارية، فتنة الربا.

يتألف الكتاب من 164 صفحة و يتكون من المحاضرات التي ألقاها فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي والتي تتحدث عن الفتن، و من هذه المواضيع : ماهية الفتن، أحاديث عن الفتن، تربية الأولاد في زمن الفتن، أحوال آخر الزمان، قمع الفتن، ماذا تفعل حيال الفتن؟، أهمية الكلمة في زمن الفتن.

الفريق الفني

لموسوعة النابلسي للعلوم الاسلامية

في 28.02.2020

تمهيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام....

أحاديث شريفة تتناول الفتن:

إن أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلانِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي ، فَقُلْتُ :

يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ .

قَالَ : نَعَمْ .

قُلْتُ : وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ .

قَالَ : نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ .

قُلْتُ : وَمَا دَخَنُهُ .

قَالَ : قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ .

قُلْتُ : فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ .



قَالَ : نَعَمْ دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا .

قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا .

فَقَالَ : هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا .

قُلْتُ : فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ .

قَالَ : تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ .

قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلا إِمَامٌ .

قَالَ : فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ .

عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَدْعُو عَصَبِيَّةً أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ))

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم:

((مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ ثُمَّ مَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِلْعَصَبَةِ وَيُقَاتِلُ لِلْعَصَبَةِ فَلَيْسَ مِنْ أُمَّتِي، وَمَنْ خَرَجَ مِنْ أُمَّتِي عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا لا يَتَحَاشَ مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلا يَفِي بِذِي عَهْدِهَا فَلَيْسَ مِنِّي))

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا عَاصِمٌ وَهُوَ ابْنُ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ نَافِعٍ قَالَ: جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُطِيعٍ حِينَ كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحَرَّةِ مَا كَانَ زَمَنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ فَقَالَ: اطْرَحُوا لأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ وِسَادَةً ، فَقَالَ : إِنِّي لَمْ آتِكَ لأَجْلِسَ، أَتَيْتُكَ لأُحَدِّثَكَ حَدِيثًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول:

((مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لا حُجَّةَ لَهُ وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً))

((قَالَ يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ وَلا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي

الفصل الأول : ماهية الفتن

1.1 أحاديث عن الفتن1 (أنواع الفتن)

1.2 أحاديث عن الفتن2 (انقسام العالم إلى قسمين)

1.3 تربية الأولاد في زمن الفتن

1.1 أحاديث عن الفتن1 (أنواع الفتن)

بسم اللـه الرحمن الرحيم

تساؤل في محله!!!

أيها الإخوة الكرام، ماذا أقول: إن تجاوَزْنا الموضوع الساخن فالموضوعات الأخرى لا يلتفت إليها المستمعون، هناك موضوعات ضاغطة، موضوعات ساخنة، موضوعات تغلي، هناك مفارقات حادة، هناك تناقض مريع بين صفات المؤمنين في القرآن الكريم وواقع المسلمين، كانوا دعاة سلام، فأصبحوا مجرمين، كانوا دعاة إحسان، فأصبحوا دعاة إساءة، على كلٍّ، الذي حصل أن العالم كله انقسم إلى مؤمن وكافر، محسن ومجرم، متمسك بمنهج الله، وطاعن في منهج الله، ماذا أفعل ؟ وماذا أقول ؟ ومِن أيّ موضوع أبدأ ؟ وتحت أين عنوان تكون هذه الخطبة ؟

أحاديث في الفتن

فتحت كتاب الفتن فاخترت من كتاب الفتن بعض هذه الأحاديث، وكأن النبي عليه الصلاة والسلام معنا.

الحديث الأول:

عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ: أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ الْفِتَنَ ؟ فَقَالَ قَوْمٌ: نَحْنُ سَمِعْنَاهُ، فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ ؟ قَالُوا: أَجَلْ، قَالَ: تِلْكَ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ، وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ الْفِتَنَ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ: فَأَسْكَتَ الْقَوْمُ، فَقُلْتُ: أَنَا، قَالَ: أَنْتَ لِلَّهِ أَبُوكَ ! قَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا . الحصيرة كم عوداً فيها ؟ فيها ألوف . فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ ؛ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ...))

أقسام القلوب بالنظر إلى الفتن

((تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا))

فتنة الشاشة، فتنة الإنترنت، فتنة المحمول، فتنة الاختلاط، فتنة المجلات، فتنة السينما، فتنة المرأة الكاسية العارية، فتنة الربا.

((تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ))

كل عود له أثر في القلب نكتة سوداء.

((وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ))



أي حتى ينقسم البشر إلى نموذجين.

((عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ))

وما أقلّهم.

((مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا))

ما معنى ذلك ؟ المُرْباد شديد السواد ظلمة ما بعدها ظلمة، سواد داكن، سواد لا ترى فيه إلا السواد، لا بصيص نور، ولا خيطاً رمادياً، كالكوز، القلب وعاء، لكن هذا الوعاء ((كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا))، مقلوب لا يمكن أن يأخذ شيئا، ضع الكأس على عكس وضعه، صب فيه الماء، وقعره نحو الأعلى، ((كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا)) أي منكوساً.

((لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ))

هذا واقع العالم اليوم، قلب أبيض لا تضره فتنة، لأنه أنكر هذه الفتن فتنةً فتنة، فهي كالحصير، فيه أعواد لا تعد ولا تحصى، وكل عود فتنة، وقلب آخر أسود داكن، ((كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا))، أي مقلوباً ليس فيه خير إطلاقاً،

((لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ))

الآن العالم منقسم قسمين، مؤمن وكافر، محسن ومجرم، صادق وكاذب، منضبط ومتفلت، وهكذا، وهذا الانقسام في كل مكان، وفي كل زمان، وفي كل مجتمع، إلا أن القسم الأقل هو القسم الأول.

أيها الإخوة الكرام، تعوذوا بالله من أن نكون مع القسم الثاني، مع القسم الذي يعم معظم الناس.

الحديث الثاني:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ قَالَ:

((لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، قَالَ: فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُجُوهَهُمْ لَهُمْ خَنِينٌ، فَقَالَ رَجُلٌ: مَنْ أَبِي ؟ قَالَ: فُلَانٌ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ:﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾))

[أخرجه البخاري، ومسلم. وأخرج الترمذي منه طَرفا يسيرا]



يبدو أن الله أطلعه على ما سيكون في آخر الزمان.

((لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا))

في العصور الثلاثة الأولى كان فيها الإسلام متألقاً، وكان فيه بطولات، ووفاء، وكرم، وحياء، ومروءة، وجدة، طبعاً امرأة قالت: وا معتصماه، المعتصم لم يجلس حتى جهز جيشاً، وغزا الروم، وأنقذها.

رُبّ وا معتصما انطلقت ملء أفواه البنات اليتـم

لامست أسماعهم لكنها لم تلامس نخوة المعتصم

***

((لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، قَالَ: فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُجُوهَهُمْ لَهُمْ خَنِينٌ))

بكاء منخفض لهذا لا نسمعه.

((لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، قَالَ: فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُجُوهَهُمْ لَهُمْ خَنِينٌ))

يظهر النفاق.

موجة نفاق تجتاح العالم، النفاق للأقوياء، ولو كانوا مجرمين، والنفاق للأغنياء، ولو كانوا مبذرين.

يظهر النفاق، وترفع الأمانة، ويكثر الاحتيال والكذب، والدجل وابتزاز أموال الناس، وتقبض الرحمة، ويتهم الأمين، ويؤتمن غير الأمين.

أيها الإخوة الكرام، من علامات قيام الساعة أن الحياء ينزع من وجوه النساء، وأن النخوة تنزع من رؤوس الرجال، وأن الرحمة تنزع من قلوب الأمراء، فلا حياء في وجوه النساء، ولا نخوة في رؤوس الرجال، ولا رحمة في قلوب الأمراء.

الحديث الثالث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:



((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْكَذِبُ، وَيَتَقَارَبَ الْأَسْوَاقُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ، قِيلَ: وَمَا الْهَرْجُ ؟ قَالَ: الْقَتْلُ))

[أحمد]

تنتقل من طرف الدنيا إلى طرفها الآخر في ساعات، وتتصل مع أقصى مكان في الدنيا في ثوان، العلم وتظهر الفتن ويكثر الكذب، ويتقارب الزمان، وتتقارب الأسواق.

((وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ، قِيلَ: وَمَا الْهَرْجُ ؟ قَالَ: الْقَتْلُ))

قتل كعقاص الغنم، لا يدري القاتل لمَ يقتل، ولا المقتول فيم قتل، يوم يذوب قلب المؤمن في جوفه مما يرى، ولا يستطيع أن يغير، إن تكلم قتلوه، وإن سكت استباحوه.

وحتى يكثر فيكم المال فيفيض، وحتى يتطاول الناس في البنيان، الأبراج خمسون طابقًا فما فوق، تسعون طابقًا فما فوق، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه.

الحديث الرابع:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِذَا كَانَ أُمَرَاؤُكُمْ خِيَارَكُمْ، وَأَغْنِيَاؤُكُمْ سُمَحَاءَكُمْ، وَأُمُورُكُمْ شُورَى بَيْنَكُمْ، فَظَهْرُ الْأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ بَطْنِهَا، وَإِذَا كَانَ أُمَرَاؤُكُمْ شِرَارَكُمْ، وَأَغْنِيَاؤُكُمْ بُخَلَاءَكُمْ، وَأُمُورُكُمْ إِلَى نِسَائِكُمْ، فَبَطْنُ الْأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ ظَهْرِهَا))

[الترمذي]

الحديث الخامس:

أيها الإخوة الكرام، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ))

[متفق عليه]

أطلعه أن أمته من بعده سترجع كفاراً، فما علامة كفرها ؟

((لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ))

قتل، ذبح، تمثيل، تعذيب، إبعاد، تشريد.

الحديث السادس:

ويقول عليه الصلاة والسلام:

((سيكون بعدي سلاطين الفتن، على أبوابهم كمبارك الإبل، لا يعطون أحداً شيئاً إلا أخذوا من دينه مثله))

[الجامع الصغير بسند ضعيف]



العطاء مقابل أن تتنازل عن دينك، لا يعطون أحداً شيئاً إلا أخذوا من دينه أضعافاً، وهناك أناس فهموا الإسلام فهماً معكوساً، فهموه تكفيراً، فهموه تشريكاً، فهموه قتلاً، فهموه استعلاءً، فهموه وصاية.

الحديث السابع:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَقُولُونَ مِنْ قَوْلِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ))

[الترمذي]

الحديث الثامن:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((تَكُونُ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ أَقْوَامٌ دِينَهُمْ بِعَرَضٍ مِنْ الدُّنْيَا))

يبيع دينه من أجل منصب، من أجل مبلغ.

[الترمذي]

بيع الدين بقليل من الدنيا

إذا جاء مبلغ فلكي مقابل أن تكتب عن الموت أنه كان طبيعياً، والموت كان قتلاً، باع دينه كله بهذا التقرير، يبيع أحدكم دينه بعرض من الدنيا قليل، كان مؤمناً فأصبح كافراً، أمسى مؤمناً فأصبح كافراً، أو أصبح مؤمناً فأمسى كافراً.



هذا من علامات آخر الزمان، والمؤمن لا يباع ولا يشترى، المؤمن رقم صعب، لكن المنافق رقم سهل، له ثمن محدود، هناك إنسان يُشترَى بألف ليرة، وإنسان بمليون، و إنسان بخمسة ملايين يبيع دينه، يبيع ورعه، يبيع صلاته، يبيع صيامه، وحجه، وزكاته.

الحديث التاسع:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((سَتَكُونُ فِتَنٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنْ السَّاعِي، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ))

أكبر وعيد توعد الله فيه الناس في القرآن أن تقتل مؤمناً متعمداً، وهذا يقع كل يوم، المؤمنون يقتلون من قبل مؤمنين، القائم القاتل والمقتول في النار، لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض.

الحديث العاشر:

أيها الإخوة الكرام، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أُمَّتَكَ سَتُفْتَتَنُ مِنْ بَعْدِكَ، قَالَ: فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ سُئِلَ: مَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا ؟ قَالَ:

((الْكِتَابُ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، مَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ وَلِيَ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ جَبَّارٍ فَحَكَمَ بِغَيْرِهِ قَصَمَهُ اللَّهُ، هُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ، وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، فِيهِ خَبَرُ مَنْ قَبْلَكُمْ، وَنَبَأُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، وَهُوَ الَّذِي سَمِعَتْهُ الْجِنُّ فَلَمْ تَتَنَاهَ أَنْ قَالُوا: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ﴾، وَلَا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عِبَرُهُ، وَلَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ))

[رواه الدارمي، وفي إسناده مقال]

هذا هو المخرج من الفتن

ليس هناك حل، مهما تعددت الحلول، إلا أن نصطلح مع الله، لأن الله أعزنا في الماضي بالإسلام، ولن يعزنا بشيء آخر، لا حل إلا أن نقيم الإسلام في بيوتنا، والحل الذي أضعه بين أيديكم بإمكان كل واحد منا تطبيقه، دعك من المجموع، دعك من الأقوياء، دعك من الطواغيت، أقم الإسلام في بيتك، وأقمه في عملك، وانتظر من الله النصر، قال تعالى:

﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ ﴾

(سورة الزمر: الآية 66)



الحل الأول والأخير القرآن الكريم أن نعود إليه، وأن نعود إلى فهمه من السنة الصحيحة، ومن فهم الأجيال الثلاثة من صحابة رسول الله، فإذا عدنا إلى الله عاد الله لنصرنا، واستعدنا دورنا القيادي، وأصبحنا أعلاماً بين الأمم، أما الآن فوالله نحن مضغة الأفواه بين الأمم، ويسخر بقصصنا، نتقاتل، لسنا مؤهلين أن نحكم أنفسنا،

لذلك يقول عليه الصلاة والسلام:

((أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، ثَلَاثَ مِرَارٍ))

[أخرجه أحمد في مسنده والترمذي والحاكم عن عمر].

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِنَّ الشَّيْطَانَ ذِئْبُ الْإِنْسَانِ، كَذِئْبِ الْغَنَمِ، يَأْخُذُ الشَّاةَ الْقَاصِيَةَ وَالنَّاحِيَةَ، فَإِيَّاكُمْ وَالشِّعَابَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَالْعَامَّةِ وَالْمَسْجِدِ))

[أحمد]

الزم الجماعة، كن مع المؤمنين، لا تنفرد برأي، خذ رأي العلماء الأجلاء الربانيين الورعين، لا تجتهد من عند نفسك، لا تسبب للمسلمين متاعب لا تنتهي، المسلمون سلمهم واحدة، وحربهم واحدة .

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: << يا أيها الناس، عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة >>.

الحديث الحادي عشر :

عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((كيف أنت يا عوف إذا افترقت هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ؟ واحدة في الجنة وسائرهن في النار؟ قلت: ومتى ذلك يا رسول الله ؟ قال: إذا كثرت الشرط، وملكت الإماء، الأمر بيد النساء، امرأة تزلزل أكبر رجل، وقعدت الحملان على المنابر، واتخذ القرآن مزامير، وزخرفت المساجد، ورفعت المنابر، واتخذ الفيء دولاً، والزكاة مغرماً، والأمانة مغنماً، وتفقه في الدين لغير الله، وأطاع الرجل امرأته، وعق أمه، وأقصى أباه، ولعن آخر هذه الأمة أولها، الصحابة الكبار لُعنوا، وساد القبيلة فاسقهم، أفسق واحد سيدها، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل اتقاء شره، فيومئذ يكون ذلك، ويفزع الناس إلى الشام وإلى مدينة منها يقال لها: دمشق، من خير مدن الشام، فتحصنهم من عدوهم))

[الجامع الصغير قريبا منه عن أبي هريرة بسند فيه ضعف]

ونسأل الله أن تكون هذه البلدة على منهج الله، وهناك علامات تؤكد ذلك.

الحديث ليس في الصحاح، درجته أقل من الصحاح.

الحديث الثاني عشر:

عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((بَيْنَا أَنَا فِي مَنَامِي أَتَتْنِي الْمَلَائِكَةُ، فَحَمَلَتْ عَمُودَ الْكِتَابِ مِنْ تَحْتِ وِسَادَتِي، فَعَمَدَتْ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلَا فَالْإِيمَانُ حَيْثُ تَقَعُ الْفِتَنُ بِالشَّامِ))

[أحمد بإسناد صحيح]

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينجينا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

أيها الإخوة الكرام، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

1.2 أحاديث عن الفتن2 (انقسام العالم إلى قسمين)

بسم اللـه الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، متابعة لموضوع الخطبة السابقة التي كانت حول الفتن ما ظهر منها وما بطن، وبينت لكم في الخطبة السابقة، وبينت لكم في الخطبة السابقة كيف أن العالم انقسم إلى قسمين مؤمن وكافر، محسن ومجرم، صادق وكاذب، رحيم ومتجبر، وهذا الانقسام إلى قسمين يتضح من حديث كان محور الخطبة السابقة:

((تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا...))

وذكرت أنواع الفتن التي ابتلي بها المسلمون، وقلت: الشاشة فتنة، والإنترنت فتنة، والجوال فتنة، يستخدم استخدامات خطيرة جداً، وقلت: المرأة في الطريق فتنة، والصحف فتنة، والمجلات فتنة، والاختلاط فتنة.

((تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ ؛ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ، مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ))

((كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا))، إناء مقلوب على فمه، لا يعي على خير، ولا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً، وأي قلب أنكرها كان هذا القلب أبيض صافياً لا تضره فتنة.

العالم قسمان

الموضوع الأول: انقسام العالم إلى قسمين، المساحة الرمادية بين الأبيض والأسود اختفت الآن



فإما أن ترى امرأة شبه عارية، أو ولية لله عز وجل، في حجابها وعلمها، وفقهها وقرآنها وطاعتها لربها، وإما أن ترى شاباً معلقاً بالمساجد، معلقاً بفعل الخيرات، معلقاً بمتابعة العلم، معلقاً بأن يقدم لأمته شيئاً، أن يكون شيئاً مذكوراً، أو شابا ساقطا في وحل الرذيلة، هذا من سمات العصر، وقد أشار النبي عليه الصلاة والسلام إلى هذا المعنى.

أحاديث نبوية في موضوع الفتن

الحديث الأول:

أيها الإخوة الكرام، متابعة لهذا الموضوع:

يقول رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ، أَلَا ثُمَّ تَكُونُ فِتْنَةٌ ـ يبدو أن هذه الفتنة شيء خطير جداً ـ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْمَاشِي فِيهَا، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنْ السَّاعِي إِلَيْهَا، أَلَا فَإِذَا نَزَلَتْ، أَوْ وَقَعَتْ فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ، قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلَا غَنَمٌ وَلَا أَرْضٌ ؟ قَالَ: يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ، ثُمَّ لِيَنْجُ إِنْ اسْتَطَاعَ النَّجَاة))

[مسلم، أبو داود، أحمد عن أبي بكرة]

إياك أن تكون طرفاً في فتنة

المعنى الإجمالي: إياك، ثم إياك، ثم إياك، في زمن الفتن أن تكون طرفاً في خطة لإفقار المسلمين، أن تكون طرفاً، أن تكون مساهماً، لإضعافهم، أو لإضلالهم، أو لإفسادهم، أو لإذلالهم، أو لإبادتهم، فالمسلم الذي يتعامل مع أعداء المسلمين لإضعاف المسلمين، لكشف عوراتهم لاكتشاف أماكن الضعف فيهم، الذي يتعاون مع أعداء المسلمين مثله كهذا المنديل، تمسح به أقذر عملية، ثم يرمى في المهملات.



أيها الإخوة الكرام، أتمنى على الله عز وجل أن تسهم في بناء هذه الأمة، أن تحمل همومها، أن تخفف من متاعبها، لا أن تكون طرفاً في إضعافها، أو إفقارها، أو إضلالها، أو إفسادها، أو إذلالها، أو إبادتها، قال تعالى:

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾

(سورة إبراهيم:46)

هذه نقطة أولى.

قَالَ أَبُو أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيُّ: سَأَلْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيَّ فَقُلْتُ: يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ، كَيْفَ تَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ؟ ﴿ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾، قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْهَا خَبِيرًا، سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

((بَلْ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا . مادية مقيتة، يبيع الرجل أباه بدريهمات . وَهَوًى مُتَّبَعًا . غرق الناس في الشهوات إلى قمة رؤوسهم . وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ الْعَوَامَّ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيهِ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا، يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ ؟ قَالَ: أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ))

يخاطب أصحاب رسول الله.

[أبو داود]

القابض على دينه كالقابض على الجمر، لكن أجره كأجر خمسين ممن عاشوا مع النبي عليه الصلاة والسلام، لماذا ؟ قال: لأنكم تجدون على الخير معواناً، ولا يجدون.

((شُحًّا مُطَاعًا))

مادية مقيتة:

((إِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِه))

يقولون هذا عندنا غير جائز فمن أنتم حتى يكون لكم عندُ

كل واحد يجعل نفسه محور العالم، هو يحلل ويحرم باجتهاد منه، ولا يرجع إلى العلماء الربانيين، ولا إلى الصراط المستقيم، ولا إلى القرآن الكريم.

أيها الإخوة الكرام، هناك رواية أحفظها:

((إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوىً متبعاً، وإعجاب كل ذي رأي برأيه فالزم بيتك، وأمسك لسانك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بخاصة نفسك . من يلوذ بك من أهلك، من أصدقائك، من إخوانك، من زملائك . ودع عنك أمر العامة))

[أبو داود عن أبي ثعلبة الخشني]

الحديث الثاني:

أيها الإخوة الكرام، عن أُسَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَشْرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُطُمٍ مِنْ آطَامِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ:

((هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى ؟ إِنِّي لَأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ))

[أخرجه البخاري]

فتنة لا تترك بيتاً إلا دخلته



لو أردنا أن نسقط هذا الحديث على بيئتنا: اصعد إلى جبل قاسيون، وانظر إلى مدينة دمشق، وانظر ماذا على أسطحها ؟ باستثناء قلة قليلة جداً ممن ضبطت هذه الشاشة، ماذا يفعل أهل البيوت إلى ساعة متأخرة من الليل ؟ ماذا يرون ؟ بماذا يستمتعون ؟ ما الذي يتغذون به ؟ ما هي المواقف الذين يتغذون بها ؟ ما هي الممارسات التي يعجبون بها ؟ قل لي ما الذي يغذيك من ثقافة أو من فكر أقل لك من أنت، إذا كانت شاشة الصغار فيها واحد وخمسون بالمئة من مشاهد العنف في شاشات العالم، وتسعة وثلاثون بالمئة من مشاهد الجنس في شاشات العالم، وما تبقى سحر وشعوذة، فماذا تنتظر من هذا الجيل ؟ هذا أيضاً من الفتن الكبرى، ما يعرض على الشاشة من مواقع هابطة، مواقع إباحية أو سحر وشعوذة، وهناك محطتان تدعيان علم الغيب، وتقولان لمن يشاهد: بعد عشرين يوما سيكون معك كذا، وخالق الأكوان يخاطب نبيه العدنان فيقول:

﴿ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾

(سورة الأنعام)

إذا كان سيد الخلق وحبيب الحق لا يعلم الغيب أهناك أحدٌ في الأرض يعلم الغيب ؟

أيها الإخوة الكرام، هذه قضية كبيرة فلذلك:

((إِنِّي لَأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ))

لا بد من الضبط، لا بد من الحازم، الضبط الشديد، وإلا الذي يغذي الصغار تراه في سلوكهم، وفي تصوراتهم، وفي مبادئهم المنحرفة، وفي قيمهم المهترئة.

الحديث الثالث:

وفي الصحيح عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَال:

((تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ: تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالَ: تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ))

[مسلم]

الدجال، الغائب المنتظر



أعماله خلاف أقواله، أعماله على عكس أقواله، يدخل جندي مع رفاقه إلى بيت فيغتصبون الفتاة، ويقتلون الأب والأم، ويحرقون المنزل بدعوى الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، فالذي نسمعه من الأقوياء يفعلون عكسه، أتوا إلى بيت، ونهبوا ثرواته من أجل أسلحة الدمار الشامل، واستخدموا هم أسلحة الدمار الشامل، استخدموا اليورانيوم المخضب، والقنابل الفسفورية لإبادة الناس، هذا هو الدجال، وكأن الوصف النبوي لإنسان في آخر الزمان هو الأعور الدجال، مع الاحتفاظ بالمعنى الذي جاء به العلماء حول هذا الإنسان، كلمة أعور دجال لها معنى واسع جداً، الذي يرى مصلحته، ولا يرى مصالح الآخرين، يحافظ على كرامته، ولا يحافظ على كرامة الآخرين، يرسخ ثقافته، ويمحو ثقافة الآخرين، يغني بلده، ويفقر الآخرين، هذا أعور ودجال، يتكلم بخلاف الواقع.

الحديث الرابع:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا ؟ أَوْ غِنًى مُطْغِيًا ؟ أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا ؟ أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا ؟ أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا ؟ أَوْ الدَّجَّالَ ؟ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوْ السَّاعَةَ ؟ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ))

[أخرجه الترمذي والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة]

الحديث الخامس:

أيها الإخوة الكرام، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ يَوْمٌ لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِيمَ قَتَلَ، وَلَا الْمَقْتُولُ فِيمَ قُتِلَ، فَقِيلَ: كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ ؟ قَالَ: الْهَرْجُ، الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ))

[مسلم]

واليوم يومياً في مئة قتيل يومياً وإلى ما شاء الله، هذه فتنة القتل.

فتنة الفتاوى المضلة:



وتكثر الفتن، ويكثر الهرج، ويرفع العلم، أن يصدر كتاب في بلد عربي مسموح به يصف إله محمد بأنه قمعي، لم يقبل إلها آخر معه، لا إله إلا الله، أما آلهة قريش فهم ديمقراطيون، كل واحد منهم يقبل الآخر، أيّ جهل هذا ؟!

أما أن يقال لموظفة من أجل أن تصح خلوتها بموظف: أرضعيه، عمره خمس وثلاثون سنة، وهي عمرها خمس وعشرون، أرضعيه لتصح الخلوة بينكما، هذا كلام من ؟ فُهِم من حديث شريف له شرح طويل، وله ملابسات كثيرة، وفيه توجيهات رائعة، ولكن أخذ هذا الحديث على ظاهره، وأصدرت فتوى في هذا الموضوع.

تكثر الفتن، ويكثر الهرج، ويرفع العلم، فلما سمع عمر أبا هريرة يقول: يرفع العلم قال عمر: **<< أما إنه ليس ينزع من صدور الرجال، ولكن يذهب العلماء >>.**

كلما ذهب عالم لم يظهر بعده عالم شبيهاً له.

الحديث السادس:

من الفتن أيضاً يقول عليه الصلاة والسلام:

((سيكون بعدي سلاطين الفتن، على أبوابهم كمبارك الإبل، لا يعطون أحداً شيئاً إلا أخذوا من دينه مثله))

[الجامع الصغير بسند ضعيف]

كلمة الحق عند السلطان الجائر

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ:

((بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَعَلَى أَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ))

[متفق عليه]

لذلك عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ))

[أبو داود]

لا بد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر



عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ: يَا هَذَا اتَّقِ اللَّهَ، وَدَعْ مَا تَصْنَعُ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنْ الْغَدِ فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، ثُمَّ قَالَ: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي

إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ إِلَى قَوْلِهِ فَاسِقُونَ ﴾، ثُمَّ قَالَ: كَلَّا وَاللَّهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنْ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيْ الظَّالِمِ، وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا))

[أبو داود]

قال تعالى:

﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ ﴾

(سورة الزخرف)

لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((وَاللَّهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنْ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيْ الظَّالِمِ، وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا.... أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللَّهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لَيَلْعَنَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ))

فتنة الحروب الأهلية والفتن الطائفية

أيها الإخوة الكرام، الآن الظاهرة الخطيرة الحروب الأهلية، قال تعالى:

﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ﴾

(سورة الأنعام)

بل إن فرعون ورقته الرابحة كانت الفتن الطائفية، قال تعالى:

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً ﴾

(سورة القصص)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾

(سورة الأنعام)

﴿ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ *مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾

(سورة الروم)

الحديث السابع:

أيها الإخوة الكرام، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((تَكُونُ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ أَقْوَامٌ دِينَهُمْ بِعَرَضٍ مِنْ الدُّنْيَا))

[الترمذي]

يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا

هذا الذي يملك خارطة لبلدة في فلسطين، وعلى كل بيت رقم، ويخبر أعداء المسلمين أن فلانا الفلاني في بيت رقمه سبعة وعشرون، ويأتي صاروخ فيدمر البيت، ويقتل هذا الإنسان الذي أراد أن يهز كيان العدو، ويأخذ خمسة آلاف دولار، ألم يبع دينه بعرض من الدنيا قليل ؟



والله هناك أمثلة لا تعد ولا تحصى، هذا الذي يعاون الأعداء مقابل مبلغ كبير جداً، ألم يبع دينه بعرض من الدنيا قليل ؟ ألم يصبح مؤمناً، ويمسي كافراً، ألم يمسِ مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل.

هل تصدقون أيها الإخوة أن جزءًا كبيراً من قوة العدو المعلومات التي معه، من أين أخذها ؟ نحن إذاً مخترَقون، من أين أخذها ؟ من أناس باعوا دينهم وآخرتهم ومبادئهم وقيمهم وإسلامهم بعرض من الدنيا قليل.

مرة ثانية، الذي يتعاون مع أعداء المسلمين من أجل إضعاف المسلمين، أو إفقار المسلمين، أو إضلال المسلمين، أو إفساد المسلمين، أو إبادة المسلمين، أو إذلال المسلمين، كهذا المنديل تمسح به أقذر عملية، ثم يلقى في المهملات.

أنت مؤمن، يجب أن تحمل همّ هذه الأمة، يجب أن تصون كرامتها، يجب أن تصون مصالحها، يجب أن يكون ولاءك لها، الدين في النهاية ولاء وبراء، يجب أن توالي المؤمنين، ولو كانوا ضعافاً وفقراء، ولو كان الحديث عنهم لا يرضي كثيراً، ولو أن سمعتهم في العالم لا ترضي كثيراً، يجب أن توالي المؤمنين، وأن تتبرأ من الكفار والمشركين، ولو كانوا أذكياء جداً، ولو كانوا أقوياء، ولو كانوا أغنياء جداً، الدين ولاء وبراء، لذلك:

((تَكُونُ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ أَقْوَامٌ دِينَهُمْ بِعَرَضٍ مِنْ الدُّنْيَا))

الذي يوافق على عرض سيئ جداً مقابل عمولة عالية جداً ألم يبع دينه بعرض من الدنيا قليل ؟

لماذا تخلى الله عنا ؟

لعلكم تقولون: لماذا تخلى الله عنا ؟ هناك أسباب كبيرة جداً توجب أن يتخلى الله عنا، حينما يقول الله عز وجل:



﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾

(سورة النور)

نحن لسنا مستخلفين، ولسنا ممكَّنين، ولسنا آمنين، لأنه:

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً ﴾

(سورة مريم)

أيها الإخوة الكرام، يقول عليه الصلاة والسلام:

((إِنَّ مِمَّا أَخْشَى عَلَيْكُمْ شَهَوَاتِ الْغَيِّ فِي بُطُونِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ وَمُضِلَّاتِ الْفِتَنِ))

[أحمد]

الآن تطرح فتن عقدية لا تعد ولا تحصى، منها إلغاء السنة، منها التأويل المنحرف للنصوص الثابتة، منها تمييع الإسلام، الإسلام كيان واضح متمايز، صار الإسلام غازًا يدخل في كل شيء، يقبل أي معصية، يقبل أي انحراف، يقبل أي تفلت، ويبقى في الإسلام.

هكذا يعمل أعداءنا لتفجير الإسلام

لذلك أيها الإخوة، حينما احتال أعداء الإسلام على الإسلام عن طريق الفتاوى، وعن طريق إلغاء السنة، وعن طريق التأويل الخاطئ المنحرف فجروه من الداخل، فجروه من الداخل.

أيها الإخوة الكرام، همّ الطرف الآخر أن يبدل هذا الدين، أن يبقى دين فلكلورٍ، دين إطار فني، دين تقاليد، دين عادات، يبقى دينًا يسمى تراثاً عند أعداء الدين.

الحديث الثامن:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَالْحَسَنِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))

[مسلم]

فتنة السحر والشعوذة والخزعبلات

دول إسلامية عديدة تعتمد برامج تؤمن بالنجوم، يسألونك: أي برج أنت ليحدثوك عن مستقبلك . هذا كلام لا أصل له، كلام دجل وشعوذة، محطات إذاعية، فضائيات تعتمد الدجل والسحر والشعوذة، وعليها إقبال شديد، يستغلون جهل العامة، اسمعوا الحديث:



((مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))

وفي حديث آخر عَنْ صَفِيَّةَ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً))

[مسلم]

برامج في الإذاعة والمجلات، وحظك هذا الأسبوع، وفضائيات متخصصة بهذا الموضوع، والناس يقبلون عليها إقبالا شديدا، هذا برج الثور، وهذا برج العقرب، وهذا برج يحسب له، والآن هناك دورات على الاسم، يأخذ اسمه واسم زوجته، يقول: ليس هناك وفاق، حتى صار الوفاق الزوجي لا علاقة له بالاستقامة، ولا علاقة له بالعفة، له علاقة بحروف الاسم، والإنسان اسمه ما بيده، أبوه سماه بهذا الاسم، وتقام دورات حتى يتعلم الناس مثل هذا، ويأخذ حروف الاسم مع حروف المخطوبة، يدرسها، ويقول له: لا وفاق بينكما، ولا سعادة زوجية، كلهم مثقفون، واختصاصيون، ومعهم شهادات عليا.

والله هناك هبوط ثقافي أيها الإخوة، وهناك جهل بالدين لا يعلمه إلا الله، فكما أن عالم الدين قد يكون أمياً إذا أعطِي تخطيط قلب لا يفهم منه إطلاقاً، نقول: أنت يا عالم الدين مع احترامنا الكبير أنت أمي في فهم هذا التقرير، هذا تمهيد، وبالمقابل وأنت أيها المثقف الكبير لأنك لم تطلب العلم من علماء ربانيين فأنت أمي لا تفقه شيئاً.

قصة وعبرة

أيها الإخوة الكرام، استمعوا إلى هذه القصة التي جرت مع الإمام علي رضي الله عنه، قال مسافر بن عوف بن الأحمر لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه حين انصرف من الأنبار إلى أهل النهروان: << يا أمير المؤمنين، لا تَسِر في هذه الساعة، وسر في ثلاث ساعات تمضين من النهار، قال علي: ولمَ ؟ قال: لأنك إذا سرت في هذه الساعة أصابك أنت وأصحابك بلاء وضر شديد، وإن سرت في الساعة التي آمرك بها ظفرت، وظهرت، وأصبت ما طلبت، فقال علي رضي الله عنه: ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجِّم، ولا لنا بعده، هل تعلم ما في بطن فرس هذه ؟ قال: إن حسبت علمت، قال: من صدقك بهذا كذب القرآن، لا تسر في هذه الساعة، فيها مشكلة كبيرة، سر بعد ثلاث ساعات، من صدقك بهذا فقد كذب القرآن، قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

ما كان محمد صلى الله عليه وسلم يدعي علم ما ادعيت علمه، تزعم أنك تهدي إلى علم الساعة التي يصيب السوء من سافر فيها ؟ قال: نعم، قال: من صدقك بهذا القول استغنى عن الله، وعن صرف المكروه عنه،

وينبغي للمقيم بأمره أن يوليك الأمر من دون الله ربه، لأنك تزعم هدايته إلى الساعة التي ينجو بها من السوء من سافر فيها، فمن آمن بهذا القول كمن اتخذ من دون الله نداً وضداً، اللهم لا طائر إلا طائرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك، نكذبك، ونخالفك، ونسير في هذه الساعة التي تنهانا عنها، ثم أقبل على الناس، فقال: أيها الناس، إياكم وتعلم هذه النجوم، إلا ما يهدي في ظلمات البر والبحر، فإن المنجم كالكافر، والكافر في النار، ولئن بلغني أنك تنظر في النجوم، وتعمل بها لأخلدنك في الحبس ما بقيتُ وبقيتَ، ولحرمناك العطاء ما كان لي سلطان، ثم سار في الساعة التي نهاه عنها فأتى أهل النهروان، وانتصر عليهم، ثم قال: لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها فظفرنا لقال قائل: سار في الساعة التي أمره به المنجم، وألغي نصر الله عز وجل، ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم، ولا لنا بعده، ففتح لنا الله بلاد كسرى وقيصر وسائر البلاد، أيها الناس توكلوا على الله، وثقوا به فإنه يكفي مما سواه >>.

والله لولا أن هذه القضايا قضايا الأسماء والأرقام، وقضايا البروج منتشرة في تسعين بالمئة من المسلمين وحتى عند مثقفيهم لما ذكرت هذا، وهناك نكسة إيمانية كبيرة جداً، وتخلف عقدي عند المسلمين.

طرق الحرام ميسرة

((أَلَا إِنَّ عَمَلَ الْجَنَّةِ حَزْنٌ بِرَبْوَةٍ ثَلَاثًا . يحتاج إلى جهد، فيه متاعب وكلفة، أَلَا إِنَّ عَمَلَ النَّارِ سَهْلٌ بِسَهْوَةٍ . وفي رواية بشهوة، يكفي أن تسترخي، وأن تأكل ما تشتهي، وأن تلتقي مع من تشتهي، وتبصر ما تشتهي من دون رادع، من دون قيم، من دون مبادئ . أَلَا إِنَّ عَمَلَ النَّارِ سَهْلٌ بِسَهْوَةٍ))



يقول عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه الإمام البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنْ الْفِتَنِ))

الذي له حرفة نظيفة لا علاقة لها بمشكلات

المسلمين، لا تبنى هذه الحرفة على ابتزاز أموال الناس، ولا على إدخال الرعب في قلوبهم، له حرفة، يقدم للناس طعاماً أو شراباً أو كساءً، حرفته نظيفة، ولا علاقة لها بمصير المسلمين، وليس طرفاً في مؤامرة قذرة، الذي له حرفة شريفة فيها نفع عام فليسجد لله شكراً له على أنه أقامه في هذه الحرفة، لذلك عَنْ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ قَالَ: وايْمُ اللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنِ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنُ، وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا))

[أبو داود]

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي عليه الصلاة والسلام:

((إن لله تعالى ضنائن من خلقه، يغذوهم في رحمته، يحييهم في عافية، ويميتهم في عافية، وإذا توفّ◌ّاهم توفّاهم إلى جنته، أولئك الذين تمر عليهم الفتن كقطع الليل المظلم، وهم منها في عافية))

[الطبراني]

بيتك الآن كهف، وجامعك كهف، قال تعالى:

﴿ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً ﴾

(سورة الكهف)

آوِ إلى بيتك، واعبد ربك، وربّ أولادك، وآوِ إلى مسجدك، استمع إلى العلم، ونفذ هذا العلم، واتصل بالله عز وجل.

من فضائل بلاد الشام

وإذا كنت من أهل الشام فهذه والله نعمة كبيرة، لقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((بَيْنَا أَنَا فِي مَنَامِي أَتَتْنِي الْمَلَائِكَةُ فَحَمَلَتْ عَمُودَ الْكِتَابِ مِنْ تَحْتِ وِسَادَتِي فَعَمَدَتْ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلَا فَالْإِيمَانُ حَيْثُ تَقَعُ الْفِتَنُ بِالشَّامِ))

[أحمد عن عمرو بن العاص]

وترون ماذا يحصل لما حولنا، ونحن إن شاء الله نسأل الله، ونشكره على نعمة الأمن في هذا البلد، وابتعدوا عن كل مواطن الفتن ما ظهر منها وما بطن،

((بَيْنَا أَنَا فِي مَنَامِي أَتَتْنِي الْمَلَائِكَةُ فَحَمَلَتْ عَمُودَ الْكِتَابِ مِنْ تَحْتِ وِسَادَتِي فَعَمَدَتْ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلَا فَالْإِيمَانُ حَيْثُ تَقَعُ الْفِتَنُ بِالشَّامِ))

كأن هذه البلدة في حفظ الله عز وجل إن شاء الله.

فضل جماعة المسلمين

لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((يا أيها الناس، عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبل الله الذي أمر به، وإنما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة))

[ورد في الأثر]

لا تقل: أنا لا أحب أن أنضم إلى جماعة، أنا حر مستقل، لو أن لها متاعب، لكن خيراتها أضعاف مضاعفة عن متاعبها، لعل من متاعبها الالتزام، إذا ما جئت إلى درس يسألون عنك من محبتهم لك، ليس لك جماعة، لا أحد يسألك إطلاقاً.

حدثنا أخ كنا معه في أمريكا، في بلدة منها رجل مسلم ما زار المسجد أبداً، مات، سبعة أيام ما عرف أحد حتى فاحت رائحته النتنة، لو كان له صلات بالمركز الإسلامي لتفقده أصحابه، وكانوا غسلوه، ودفنوه، وشيعوه تشييعا معقولا، فأنت لا تقل: لا علاقة لي بأحد، يجب أن تكون مع المؤمنين، لكن ما لم يكن انتماءك لمجموع المؤمنين فلست مؤمناً، الانتماء لمجموع المؤمنين، لكن لك جامع قريب من بيتك تأوي إليه، لك ثقة بخطيب، بإمام، لا مانع كإنسان له أم، وهناك آلاف الأمهات الصالحات غير أمه، الانتماء إلى مجموع المؤمنين، لكن لك جامع، لك مرجع، لك إنسان تثق بعلمه، بورعه، باستقامته، تسأله.

المخرج من الفتنة

آخر شيء في الخطبة: عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قِيلَ:

((يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أُمَّتَكَ سَتُفْتَتَنُ مِنْ بَعْدِكَ، قَالَ: فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ سُئِلَ: مَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا ؟ قَالَ: الْكِتَابُ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، مَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ وَلِيَ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ جَبَّارٍ فَحَكَمَ بِغَيْرِهِ قَصَمَهُ اللَّهُ، هُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ، وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، فِيهِ خَبَرُ مَنْ قَبْلَكُمْ، وَنَبَأُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، وَهُوَ الَّذِي سَمِعَتْهُ الْجِنُّ فَلَمْ تَتَنَاهَ أَنْ قَالُوا: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ﴾، وَلَا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عِبَرُهُ، وَلَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ))



الحل أن نصطلح مع الله وأن نعود إلى القرآن الكريم كمنهج كبير.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه يغفر لكم، فيا فوز المستغفرين، أستغفر الله.

أحدث الفتن من علم الغيب

أيها الإخوة الكرام، هذه الأحاديث من نوع أن النبي عليه الصلاة والسلام أعلمه بما سيكون، النبي عليه الصلاة والسلام لا يعلم بذاته إلا أن يعلمه الله، وإعلام الله لنبيه الكريم يبعث في النفس طمأنينة، إلا أن هذا الذي يجري هو في علم الله، وهو فتنة كبيرة، لكن البطل هو الذي ينجو منها، حينما تأوي إلى بيت من بيوت الله، حينما تطلب العلم، حينما تلتزم بهذا العلم، حينما تجعل بيتك إسلامياً، حينما تجعل عملك إسلامياً، حينما تقيم الإسلام في نفسك، وفي بيتك، وفي عملك، حينما تربي أولادك، حينما يكونون قرة عين لك، عندئذ تعرف قيمة المرجعية الإسلامية للمؤمنين.

هناك ظاهرة ذكرتها قبل قليل: قد يحمل الرجل الدكتوراه، يحمل شهادة، يظن نفسه أحاط بعلم الأولين والآخرين.

قل لمن يدعي في العلم فلسفة   حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء

***

مرة إنسان عاد من الحج لتوه، ويحمل دكتوراه، ويشغل أعلى منصب في بلد عربي، قال: والله الحج رائع، ولكن أنا أقترح على الإخوة في بلاد الحج أن يجعلوه على خمس دورات دفعاً للتزاحم، وهو يحمل الدكتوراه، ويحمل شهادة عليا، ويحتل منصبًا رفيعًا، وظن قضية الحج قضية بيد العلماء، أن يجعلوه على خمس دورات، كل شهرين دورة، فيخف الازدحام، إذاً هو يجهل ما علم من الدين بالضرورة.

البطولة في التطبيق



أيها الإخوة، هذه الأحاديث والآيات ليست لأخذ العلم، ولكن للتطبيق، والبطولة أن تطبق ما سمعت، تماماً كما لو قلت: ألف مليون، بين أن تنطق بها وأن تملكها مسافة كبيرة جداً، مسافة لا تقدر بين أن تنطق بألف مليون بالعملة الصعبة، وبين أن تملكها، أن تنطق بها، وقد تكون أفقر الناس، الحديث في الدين سهل، لا يكلف شيئًا، أما حينما تطبق أحكام الدين تقطف ثماره.

الحقيقة من يمنعك أن تكون صادقاً، وأن تكون أميناً، وأن تكون عفيفاً، ومن يمنعك أن تربي أولادك، من يمنعك أن تقيم الإسلام في بيتك، هذا كله ضمن إمكانيتنا، المشكلة أن المسلمين أهملوا ما هم قادرون عليه، وحشروا أنوفهم فيما ليسوا قادرين عليه، والله عزوجل ما كلفك فوق ما تطيق، قال تعالى:

﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾

(سورة الزمر)

﴿ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آَتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾

(سورة الأعراف)

تنتهي مهمتك حينما تقيم أمر الله في نفسك، وفي بيتك، وفي عملك، انتهى الأمر، وعندئذ نكون قد دفعنا ثمن النصر، أنا أدعو وأقول: اللهم انصرنا على أنفسنا حتى ننتصر لك، حتى نستحق أن تنصرنا على أعدائنا.

1.3 تربية الأولاد في زمن الفتن

بسم اللـه الرحمن الرحيم

مقدمة :

المذيع:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، يا ربنا صلّ وسلم، أنعم وأكرم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، مرحباً بكم مستمعينا الكرام، على الهواء مباشرة عبر أثير إذاعتكم حياة fm في مجلس علم جديد، وحلقة إيمانية مع فضيلة شيخنا الدكتور محمد راتب النابلسي، حياكم الله شيخنا وأستاذنا.

الدكتور راتب :

بارك الله بكم، ونفع بكم، وأعلى قدركم.

المذيع:

نبدأ بقول تعالى:

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾

[سورة الأنفال:28]

((كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ))

[متفق عليه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا]

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيننا على كل خير.

نتحدث اليوم عن تربية الأولاد في زمن الفتن، دكتور هل هذا هو زمن الفتن؟

الابتلاء علة وجود الإنسان في الأرض :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا بما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

الحقيقة الدقيقة أنه لا بد من موضوع أكبر من عنوان هذا اللقاء الطيب وهو أن علة وجودنا في الأرض هو الابتلاء، قال تعالى:

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾

[سورة الملك : 2]

الآية الثانية:

﴿ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾

[سورة المؤمنون : 30]

للتوضيح الدقيق؛ إنسان أرسله أبوه إلى باريس لينال الدكتوراه من جامعة السوربون، باريس مدينة عملاقة، فيها مسارح، فيها ملاعب، فيها دور سينما، فيها حدائق، فيها معامل، فيها متاجر، هذا الإنسان علة وجوده الوحيدة في باريس هي الدراسة، قياساً على هذا المثل علة وجودنا الأولى والوحيدة هي العمل الصالح، وهذا العمل يبدو من خلال الابتلاء، هل الكسب حلال أم حرام؟ هل هذه الحرفة ترضي الله أم تغضب الله؟ هل هذه المرأة التي تزوجها الإنسان زوجة قد تكون أم حنوناً مربية أم أماً منحرفة؟ فلا بد من الابتلاء، الابتلاء قدرنا وعلة وجودنا، الآن أحد أكبر بنود هذا الابتلاء، قال تعالى:



﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾

[سورة الأنفال:28]

أي هذا الابن تمنى أبوه أن يكون شخصية مهمة ولم يهتم بدينه إطلاقاً، تمنى أن يكون غنياً دون

النظر في طريقة كسب المال، تمنى أن يكون قوياً أم تمنى أن يكون مؤمناً يستحق الدنيا والآخرة معاً؟ تمنى أن يكون صادقاً أميناً عفيفاً متقناً لعمله، يؤمن بالله ورسوله، يرجو ما عند الله من رحمة، البون شاسع كبير والدليل قوله تعالى:

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾

[سورة السجدة:18]

للتقريب ممكن أن نقول: هناك مادة معينة في العسل، أو مادة أخرى فيها 24%، و 21%، و 18%، و 16%، و 11%، لكن هذه المواد من صنف واحد تتفاوت في الدرجة، لكن هناك ذهباً كمعدن نفيس وهناك معدن آخر خسيس، فالإيمان ذهب، و عيارات الذهب 24%، 21%، 18%، 16%، 11%، التفاوت بالنسب فقط، ولكن كله عبارة عن ذهب، أما المعدن الخسيس التنك فهذا شيء آخر غير الذهب، فالمؤمن معدن نفيس، لكن هذا المعدن يتفاوت فيه المؤمنين بحسب عملهم وإخلاصهم، أما الطرف الثاني فلئيم، كذوب، وصولي، اذكر ما شئت من صفات سيئة.

المذيع:

أستاذنا الفاضل يفهم من هذا أن الابتلاء هو امتحان من الله عز وجل للناس وهو علة وجودهم في هذه الحياة، وتربية الأولاد وإنشاء عائلة هو أحد..

الدكتور راتب :

أحد أكبر بنود هذا الابتلاء الأولاد.

المذيع:

أستاذنا لماذا؟

الأولاد أحد أكبر بنود الابتلاء :

الدكتور راتب :

لأن هذا الابن أحياناً ضمنت له الدنيا، فجاءك منه نفع كبير، أما حينما تضمن أنت له الآخرة فجاءتك الدنيا والآخرة معاً.

المذيع:

أستاذنا هل أنا أضمن لابني آخرته؟

الدكتور راتب :

أدِّ الذي عليك، واطلب من الله الذي لك، هذا منهج في الحياة، أنا أؤدي الذي عليّ وأسأل الله الذي لي، أوضح مثل عندنا رحلة إلى العقبة، لا بد من مراجعة المحرك، والزيت، والعجلات، والوصلات الكهربائية، أنا أؤدي الذي عليّ بعدها أتوجه بأعماقي الإيمانية: يا رب أنت الحافظ، أنت المسلم، أنا أديت الذي عليّ، راجعت المركبة، و لكن رغم المراجعة قد يكون هناك حادث أليم، ومع ذلك أنا أديت الذي عليّ، لذلك قالوا: أدّ الذي عليك واطلب من الله الذي لك، أنا لا أضمن صلاح أولادي أنا عليّ أن أهيئ لهم بيئة صالحة، بيئة إيمانية، جو إسلامي، أم وأب، لقاءات مثمرة، لا يوجد انحرافات لا في الشاشة، ولا في الزيارات، ولا في الحفلات، ما دام هناك بيئة صالحة فأنا قدمت السبب وعلى الله المتابعة.

المذيع:

أستاذنا ما هي المسؤولية الشرعية للأب والأم في تربية أولادهم إلى أين تنتهي حدودها؟

المسؤولية الشرعية للأب والأم في تربية أولادهم :

الدكتور راتب :



والله قبل أن يبلغ سن الرشد الأب مسؤول لأن الله عز وجل أعطاه زمام القيادة، هذا ابنك، بالمناسبة درسنا بالجامعة في علم التربية الابن تبدأ تربيته من يوم ولادته، كيف؟ هذا الوليد بكى إذاً يحتاج إلى طعام، أرضعناه، ثم بكى ثانية يحتاج إلى تنظيف، نظفناه، الآن بكى ثالثة ينبغي ألا نحمله، فإذا حملناه عودناه أن يبكي بلا سبب، تبدأ التربية من يوم الولادة وحتى السنة السابعة، التربية

المجدية، المؤثرة في المبادئ، والقيم، والاستقامة، والأمانة، والعفة إلى آخره، وبعد سبع سنوات أثر التربية أضعف بكثير من السنوات السبع الأولى، لذلك يوجد معلومات عندي في العالم المتقدم يعتنى بالطفل من يوم ولادته، نحن قد لا نعتني به في السنوات السبع الأولى لكن ننتبه أن الابن على خلاف ما نريد، لا بد من أن يشكل تشكيلاً عقدياً إيمانياً أخلاقياً علمياً اجتماعياً.

المذيع:

دكتورنا الكريم الآن هل الأب والأم مسؤولين عن دين ابنهم؟

مسؤولية الأب و الأم عن دين ابنهم :

الدكتور راتب :

طبعاً، مسؤول عن دين ابنه حينما كان ابنه تحت إدارته، وكان ولياً عليه، بعد الثامنة عشرة انتهت مسؤوليته.

المذيع:

لو الولد انحرف بعد سن الثامنة عشرة تخلى المسؤولية الشرعية عن جانب الأم و الأب؟

الدكتور راتب :

لاعب ولدك سبعاً– من سنة إلى سبع سنوات ملاعبة– وأدبه سبعاً– من سبع سنوات لسن الرابعة عشرة تأديب، كذب نحاسبه، معه قلم ليس له من أين جئت به؟– و راقبه سبعاً– ومن سن الرابعة عشرة إلى الحادية و العشرين مراقبة– ثم اترك حبله على غاربه، أي كن صديقاً له.

المذيع:

قضية زرع المبادئ الشرعية لدى الأولاد هي ليست قضية اختيارية وليست من كمال الإيمان إنما هي فرض عين؟

زرع المبادئ الشرعية لدى الأولاد فرض عين على الأم و الأب :

الدكتور راتب :



الآخر أنت له وغيرك له أما ابنك فمن له غيرك؟

المذيع:

أستاذنا من الآخر؟

الدكتور راتب :

طفل في الطريق، أنت ممكن تنصحه ألا يدخن، تقول له: يا عم التدخين حرام، صعد معك في المصعد يدخن، طفل تستطيع أن تنصحه بنعومة، أما الابن فمن له غيرك؟

المذيع:

كل أب وكل أم سيسأل عن دين ابنه؟

الدكتور راتب :

أبداً، قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾

[سورة الطور: 21]

أكبر عطاء إلهي أن أعمال الابن الذي تولى الأب تربيته تربية إيمانية علمية أخلاقية كل أعمال ابنه إلى يوم القيامة في صحيفة الأب.

المذيع:

أستاذنا إذاً الابن صدقة جارية؟

الابن صدقة جارية لوالديه :

الدكتور راتب :

أكبر صدقة جارية، والابن أكبر تجارة مع الله، مرة ثانية قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾

[سورة الطور: 21]

قال العلماء: ألحقنا بهم أعمال ذريتهم.

﴿ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾

[سورة الطور: 21]



لذلك أكبر تجارة مع الله أن تربي ابنك.

المذيع:

على هذا تعتبر مهنة الأم أعظم المهن، باعتبار هي من تزرع هذه الصدقات الجارية في أولادها إلى يوم القيامة؟

الدكتور راتب :

أول من يمسك بحلق الجنة أنا، فإذا امرأة تنازعني تريد أن تدخل الجنة قبلي، قلت: من هذه يا جبريل؟ قال: هي امرأة ربت أولادها، هذه المرأة التي عرفت مهمتها فربت أولادها تنازع النبي دخول الجنة.

المذيع:

أستاذنا هذا لا يمنعها من العمل؟

الدكتور راتب :

سيدي أهم شيء التنظيم، هناك وقت للبيت لا بد منه، ووقت للأولاد، ووقت للزوج، ووقت لتكون بهندام مقبول أمام زوجها.

المذيع:

أدته تعمل، تخرج، تفعل ما تشاء، أما أن يكون خروجها أو خروج الأب على حساب الأولاد فهنا أصبح خلل.

الدكتور راتب :

يوجد بعض الكاميرات الخفية في بعض البلاد وضعت في غيبة الأم، بعض الخدم يسيئون إساءة غير معقولة انتقاماً من أمهم، لا يوجد إنسان مؤهلاً ليربي الابن كالأم.

المذيع:

أستاذنا لدينا سؤال كبير أطرحه على فضيلتك؛ ماذا لو – لا سمح الله– انحرف الابن أو البنت في هذه الحياة، يتفطر قلب الأب والأم ماذا يفعلون؟ ولكن بعد الفاصل..

أهلاً بكم مع فضيلة الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي حديثنا اليوم عن تربية الأولاد في زمن الفتن.

سيدي إذا قام الأب والأم بدورهما في تربية الأولاد بعد كبرهم يصلون إلى المدرسة والجامعة وخروجهم للعمل و للسفر قد ينحرف هذا الابن أو تلك البنت عن الطريقة التي ربيا بها في البيت، ماذا يفعل الأب والأم يتفطر قلبهم؟

المقدمات الصحيحة تفضي إلى نتائج باهرة :

الدكتور راتب :



هو في الأعم الأغلب أن هذا الابن إذا تلقى تربية صحيحة مدروسة أخلاقية إيمانية علمية اجتماعية نفسية، هذه أبواب التربية، تربية إيمانية، أخلاقية، اجتماعية، نفسية، علمية، جسمية، إن تلقى هذه التربية الكاملة في الأعم الأغلب المقدمات الصحيحة تفضي إلى نتائج باهرة، يوجد أشياء استثنائية مثلاً أحد الأنبياء ابنه لم يكن مؤمناً، هذه حالة استثنائية حتى تغطي حالات مشابهة في تاريخ البشرية، الأب إذا أدى الذي عليه ربى ابنه تربية صحيحة علمية...

المذيع:

أستاذنا اسمح لي أن أسألك ما هو الذي عليه؟

الدكتور راتب :

أن يلقنه مبادئ الإيمان، مبادئ الإحسان، أن يحمله على طاعة الله، أقول عن أب مسلم: دعك من شعوب أخرى، هذا الابن من له غير الأب؟ يصلي معه في البيت، يدعوه إلى طاعة الله، يراقب عمله، يوجد كلمة تكلم بها لا تليق به ينبهه، ليس من الشرط أن ينبهه أمام الناس، ولا أمام أخوته، ولا سيما البنات، بطولة الأب أن ينبهه بينه وبينه، حتى يقبل النصيحة، أما النصيحة أمام الملأ فهي فضيحة، يعنفه فيما بينه و بينه، ويقبل الابن من والده أشد أنواع التعنيف على انفراد.

المذيع:

أستاذنا هل هناك واجبات أخرى على عاتق الأب غير الواجبات الدينية؟

واجبات أخرى على عاتق الأب غير الواجبات الدينية :

الدكتور راتب :

أن يطعمه مما يأكل، أن يعلمه، هذا أكبر واجب التعليم، أن يقدم له حاجاته الأساسية وإلا لماذا تزوج؟

المذيع:

فإذا فعل كل هذا الأب والأم ولا سمح الله انشق الابن عن هذا الطريق.

الدكتور راتب :

لا يحاسب الأب، هذا صار قضاء وقدراً، عفواً يوجد مصطلحان لا بد من توضيحهما، لو أن شخصاً ما علم ابنه إطلاقاً، وانحرف ابنه، هذا جزاء التقصير، أما إذا علمه وأدى الأسباب بأكملها، ثم انحرف ابنه لسبب أو لآخر فهذا قضاء وقدر، لذلك قيل: أدّ الذي عليك واطلب من الله الذي لك.

المذيع:

بهذه النقطة دكتور أتوسع مع فضيلتكم في المسلمين الذين يعيشون خارج الدول الإسلامية والعربية يمكن البيئة قريبة من الإلحاد والإباحية، من الأفكار غير المقبولة شرعاً، هل وجود الأب في هذه الأماكن ضروري؟

من أقام مع المشركين إقامة دائمة مصيرية فقد برئت منه الذمة :



الدكتور راتب :

((من أقام مع المشركين فقد برئت منه الذمة))

[ابن المنذر عن جرير بن عبد الله البجلي]

المقصود إقامة دائمة مصيرية، لكن هناك سفراً للدكتوراه، سفر بعثة، سفر سياحة، الإقامة الدائمة.

المذيع:

دكتور اليوم بعض المجتمعات المسلمة في دول الخارج تشكل مجتمعاً كاملاً في كثير في دول أوربا وأمريكا.

الدكتور راتب :

هذا الذي سوف أقوله لك بعد قليل، أنا سافرت إلى أمريكا منذ خمس وعشرين سنة، والآن سافرت هناك تجمعات إسلامية حول المسجد، كل من حول هذا المسجد مسلم، وأبناؤه مسلمون، الآن هناك تجمعات إسلامية خففت بمقدار كبير أخطار الغرب.

المذيع:

أستاذنا هل يبقى هذا الحديث يشملهم؟

العبرة في سلامة الدين :

الدكتور راتب :

الآن يوجد ضرورات، عندما صار هناك ضرورة، إذا كان غير آمن في بلده وسافر فهذه ضرورة، قال لي شخص مقيم في ألمانيا في فرانكفورت، هو طبيب، قال لي: دخلي فلكي، لكن ابنتي تقول لي: أنتم، يقول الأب: من نحن؟ تقول له: أنتم، تلقت توجيهاً أنهم متخلفون، فتقول له: أنتم، أقسم بالله ما ترك طريقة ثم ألغى

عمله بألمانيا، قال لي: والله عشرة أضعاف نزل دخلي ولكن رجعت إلى الشام لعل بعد خمس سنوات تقول ابنته:

نحن يا أبي.

المذيع:

أستاذنا لو إنسان استطاع أن يجد مجتمعاً حوله من العائلة، من الأقارب، من الحفظة؟

الدكتور راتب :

لا يوجد مشكلة، العبرة سلامة الدين، والآن صار هناك تجمعات كبيرة إسلامية، لا أقول لك: لا يوجد خطر لكن الخطر خف كثيراً.

المذيع:

أستاذنا الخطر موجود مجتمعاتنا.

الدكتور راتب :

وهذا التواصل جعل العالم كله مثل بعضه.

المذيع:

جميل، هذه نقطة مهمة جداً، أكرمكم الله دكتور، قضية غياب الأب والأم عن البيت وخاصة إذا كان الأب طبيباً طبيعة الحياة أن يخرج للسفر للعمل هل هذا الغياب مؤاخذ عليه؟

تخصيص وقت للأولاد و العناية بهم :

الدكتور راتب :

أنا أرى أن الأب الذي لا يخصص وقتاً لأولاده ليس أباً، أولاده أكبر ضرورة قبل دخله، لا تقبل عملاً يأكل كل وقتك، تكون بذلك قد انتهيت.

المذيع:

أستاذنا الحياة صعبة.

الدكتور راتب :



مهما كانت الحياة صعبة، ابنك أصعب، لا سمح الله إن كان ابنك منحرفاً، شارب خمر، زانياً، تأتيك آلام تتمنى أن تأكل خبزاً يابساً مع شاي، ولا يكون ابنك هكذا، الابن العاق يسبب متاعب نفسية لا يعلمها إلا الله، والله أقسمي لي شخص لو أن ابني دهس لأعمل مولداً، منحرف على مقامر قال لي تفاصيل، الذي عنده ابن صالح يقبّل الأرض.

المذيع:

أستاذنا كيف وصل ابنه إلى هذا الحد؟

الدكتور راتب :

أهمله، عندما يهمل في السبع السنوات الأولى، والسبع الثانية تفاجأ أن له رفقاء سوء.

المذيع:

ما هو الحد الأدنى من الوقت الذي يفرض على الأب والأم أن يعطوه لابنهم؟

الدكتور راتب :

المشكلة هذا الوقت بحسب المكان، كنت أقول: إذا شخص يعيش في بلاد إسلامية يحتاج في الشهر إلى خمسين ساعة توجيهاً في الشهر كله، أو ثلاثين ساعة توجيهاً، يحتاج في بلاد أخرى عوضاً عن الخمسين إلى مئة ساعة توجيهاً لأن هناك شبهات وأخطاء كبيرة، الأشياء المحرمة في ديننا هناك سهلة جداً، الكبائر الكبرى عادية جداً.

المذيع:

أستاذنا نشرك معنا مستمعينا الكرام معنا الأخت هنادي تفضلي.

سؤال عندي ثلاثة أولاد، أنا والأب منفصلان، وأنا أربي الأولاد منذ ثماني سنوات، وطبعاً على الصلاة والصيام وأشياء كثيرة، الآن ابني عمره ثماني عشرة سنة، دائماً ألاحقه بالصلاة، هو مؤمن يصلي الجمعة ولا يصلي الفروض، ودائماً يعدني بالصلاة، السؤال: هل أنا عليّ إثم إذا الولد لم يصلِّ؟ هذه واحدة، الثانية الأب لا يسأل عنهم لا مادياً ولا معنوياً، وللأسف الأب مدمن خمر، من فترة ابني ذهب وشاهده فرجع نفسيته متعبة ويقول: إنه يخاف من عقوق الوالدين ويقول قوله تعالى:

﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾

[سورة العنكبوت:8]

أنا أتفاجأ كم الولد مؤمن مع أنه ليس بمدرسة إسلامية المهم.

مصاحبة الوالد العاصي بالمعروف :

الدكتور راتب :

قبل أن تتابعي أختي:

﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾

[سورة لقمان: 15]

ولكن:

﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً ﴾

[سورة لقمان: 15]

حتى لو رفضت أن يطيعه بنعومة، بلطف، تفضلي.

المذيع:

الأخت هنادي تفضلي.

هو يفسر الآية أنه يخاف أن الله يحاسبه لأنه لا يسأل عن والده، أنا أقول له: اسأل عنه من فترة لفترة، ليس واجبك بل واجبه هو أن يسأل عنك، ما سأل عنه لا هو صغير، ولا هو كبير، أنا أريد أن يرتاح نفسياً ألا يكون مذنباً، هل كلامي الذي أقوله صحيح؟

الدكتور راتب :

إذا غلب على ظنه أن زيارة أبيه من حين لآخر تسهم في إصلاح الأب، وفي توجيه الأب إلى الوجهة الصحيحة، لا يوجد مانع، أما إذا لم يكن هناك أمل إطلاقاً لو خفف الزيارات لا يوجد مانع، مربوطة بالأمل، إذا كان هناك أمل فهذه الزيارة تؤتي أكلها، يجب أن يزوره.

المذيع:

معنا أسامة تفضل:

نريد نصيحة للشباب والمقبلين على الزواج، كيف تكون التربية إذا كان لا سمح الله هناك انفصال أو مشاكل.

من خطب فتاة من أسرة متماسكة فالطريق ممهد لنجاح الزواج :

الدكتور راتب :

لا شك وشيء بديهي، إذا أنت خطبت فتاة من أسرة متماسكة الطريق ممهد لنجاح الزواج، أما من أسرة مفككة فالأب بجهة والأم بجهة، هذه تعمل رضاً نفسياً، هذا الرض ينعكس على الزواج.

المذيع:

أستاذنا ما ذنب الزوجة إذا كان والدها وأمها منفصلين؟

الدكتور راتب :

لا تحاسب لكن أنت إذا عندك خيارات واخترت فتاة.

المذيع:

أليس هذا ظلماً في حق البنت لأنه سلوك من أمها وأبيها لا علاقة لها به؟

الدكتور راتب :

مادام تتزوج باختيارك، إذا أنت اخترت البنت التي لها أسرة متماسكة لست مؤاخذاً، أقوى لزواجك، أما إذا البنت مضطر أن تتزوجها مثلاً فأعانك الله.

المذيع:

أستاذنا ألا نميل إلى الفتيات أو الأولاد من عائلات مفككة، الأب دكتور لو جاءه خاطب لابنته لكن أمه وأباه منفصلان إذا رفضه إلى ما كان من أمه وأبيه ما ذنبه هو كشاب؟

الدكتور راتب :

هو ليس له ذنب، كلامك دقيق جداً لكنه في موقع آخر، قال تعالى:

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾

[سورة الأنعام: 164]

أب يشرب كما تفضلت الأخت الابن ليس له علاقة، أنت لو أتيح لك أن تتزوج من أسرة لا يوجد بها شرب أليس أفضل؟

المذيع:

أستاذنا سامحني أنا أدافع عن وجهة نظر أخرى أدباً واستفساراً من حضرتكم، من لهذا الشاب إذا كان أبوه يشرب نحن تركناه، من له لو كلنا رفضناه؟

الدكتور راتب :

لست أنا وحدي له، هذا يسمى فرضاً كفائياً، لو فرضنا إنسانة منحرفة إذا أنت لم تخطبتها هناك من يخطبها، أنت هنا لست ملزماً بها، فرض كفائي.

المذيع:

أستاذنا لو فرضنا فتاة صالحة وأمها لا قدر الله ..

الدكتور راتب :

هذا صار زواجاً و عملاً صالحاً، مادامت هي منضبطة وأسرتها متفلتة أنت عملت عملاً كبيراً.

المذيع:

معنا سعيد تفضل:

يوجد سؤالان؛ الولد تربية مساجد، عمره عشرون سنة، وصار يقلد الموضة مثل الشباب شعره مثلاً، أنا كأب لست راضياً على هذه التسريحة، والبنطال الذي على الموضة أريد توجيهاً منك؟

حاجة كلّ إنسان إلى حاضنة إيمانية :

الدكتور راتب :

توجيهي بهذا الموضوع الإنسان غير أبيه وأمه، بحاجة ماسة إلى حاضنة إيمانية، بحاجة ماسة إلى رفيق مؤمن، صديق مؤمن، أما أنت فلا يهمك مع من يعيش، مع من يسهر، مع من يرافق، طبعاً سوف يؤثرون فيه، لذلك قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾

[سورة التوبة: 119]

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾

[سورة الكهف: 28]



دائماً وأبداً يجب أن تختار لابنك أصدقاء، أصدقاء من أسر راقية ملتزمة، ويأتون لعنده وتسمح له أن يذهب إليهم، لا يوجد مانع، يجب أن تعرف، جاءني خاطر دقيق جداً، الإنسان يتلقى من خطيب المسجد، ومن أستاذ الديانة، ومن أبيه وعمه وخاله، كل هذه الجهات الموجهة يتلقى منها أربعين بالمئة، ويتلقى ستين بالمئة من رفيق السوء، أو رفيقة السوء، فيجب على الأب أن يعرف من هو صديق ابنه بادئ ذي بدء، وأن تعلم الأم من هي صديقة ابنتها، التلقي من الصديق ستون بالمئة، وكل الجهات التربوية أربعون بالمئة فقط.

المذيع:

السؤال الثاني أخ سعيد:

كنت في جماعة برحلة هذه نصيحة للآباء لا يعلموا بناتهم الأركيلة، تكح يقول لها: كوني مثل أختك.

تفضل أبو أنس:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، نقطتان من خلال رفقاء السوء، ممكن الولد أو البنت يتلقى بعض العادات السيئة التي تنعكس داخل البيت، أو تنعكس على حياته الشخصية، هذه العادات يمكن أن تكون قريبة للقلب مثل حديث النبي صلى الله عليه وسلم: " حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ " فبالتالي تكون قريبة للقلب بشكل يطبقها الولد أو البنت مباشرة.

النقطة الثانية: لا ننكر أن التلفاز أصبح أكبر مصدر للإفساد في هذه الأيام من خلال بعض المسلسلات التي من غير عاداتنا.

التلفاز أكبر مصدر للإفساد :

الدكتور راتب :

أريد أن أعلق تعليقاً دقيقاً جداً إذا أنت بحثت عن إنسان ملحد وآخر غارق بالرذيلة رجوتهم أن يربوا أولادك، هذه الشاشة هكذا تفعل، لأن كل الأعمال الفنية هدفها إلغاء الرقابة الإلهية زائد إطلاق الشهوات الغير مسموح بها.

المذيع:



أستاذنا ماذا تنصح بالنقطة التي طرحها أبو أنس في علاقة أولاده بالإعلام وخاصة بالنت اليوم.

المتاعب النفسية التي يعانيها الآباء عند تفلت أبنائهم :

الدكتور راتب :

لو بلغ أعلى منصباً في الأرض، وجمع أكبر ثروة فيها، ولم يكن ابنه كما يتمنى فهو أشقى الناس، هذه الحقيقة المرة، الحقيقة عندما تعتني بابنك تعتني بنفسك، تعتني بحالتك النفسية، تعتني بمستقبلك، لأن الولد إذا تفلت يسبب للأب والأم متاعب نفسية لا يعلمها إلا الله.

المذيع:

فاصل ثم نجيب..

مع فضيلة الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي مرحباً بكم، الأخت هنادي أحد أبنائها بعيد عن أداء الصلوات الخمس..

الصلاة الفرض المتكرر الذي لا يسقط بحال :

الدكتور راتب :

أولاً: الحقيقة الدقيقة والعميقة والخطيرة الفرض المتكرر الذي لا يسقط بحال، الصائم المريض لا يصوم، والذي ليس لديه مال لا يزكي، خمسة أركان للإسلام واحدة منهم لا تسقط بحال هي الصلاة:

((الصلاة عماد الدين فمن أقامها فقد أقام الدين، ومن تركها فقد هدم الدين))

[البيهقي في شعب الإيمان عن عمر]

((لا خَيْرَ فِي دِينٍ لا رُكُوعَ فيه))

[مسند أحمد عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ]



هذا المخلوق الضعيف، الجاهل، كثير الخوف، الأناني كيف يصلح؟ بالاتصال بالذات الكاملة، بالذات الكاملة صار كريماً، صار عنده حياء، صار عنده غيرة، صار عنده عفة، عنده إحسان،

هذه الكمالات عند الله عز وجل:

((.. فإذا أحب الله عبدا منحه خلقا حسنا))

[الحكيم عن العلاء بن كثير]

من خلال الصلاة، قال تعالى:

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾

[سورة طه:14]

المذيع:

أستاذنا إذا الابن لم يستجب لهذه الكلمات؟

الدكتور راتب :

والله لا بد من حكمة، هذا يبقى ابناً.

المذيع:

أستاذنا هل يكون العقاب بمنع مصروف؟

الدكتور راتب :

هذه تحتاج إلى حكمة، أحياناً الابن يستطيع أن يكون له دخل، غير أبيه، إيقاف المبلغ المحدود لا يغير مشكلته، أما أنا فأتمنى أن يكون الأب نصوحاً يعامل ابنه كصديق، بابا هذه لا تنفعك، النهي المعلل.

المذيع:

أستاذنا لا تؤيد التشديد في العقوبة؟ مثلاً إخراج الابن من الجامعة إذا كان لا يصلي عقاباً له؟

الدكتور راتب :

لا أبداً، لا تعاقب عقوبة تؤثر على مستقبله، لا تدخل بهذه الموضوعات.

المذيع:

حتى إذا كانت مقصرة بحجابها وصلاتها، طرحت فكرة الأخت الكريمة ألا تسأل عن أبيك هو الذي يجب أن يسأل عنك؟

حاجة الابن إلى أبيه في سن معينة :

الدكتور راتب :

هناك مرحلة الأب، ومرحلة الابن، أدق شيء يقول شخص: كم ولد عندك؟ يقول: عندي خمسة أولاد، عندي، يكبر الابن، أين تسكن؟ والله عند أبي، عند ابني، بالقرآن قال تعالى:

﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا ﴾

[سورة الإسراء: 23]

في سن معين يسكن عند ابنه، وفي سن معين عند أبيه.

المذيع:

أستاذنا الكريم في قضية تربية الأولاد وضع الأولاد في مدارس غير إسلامية في دولنا العربية، كثير من الناس تقول: هناك مدارس تقدم لغة إنكليزية جيدة منضبطة، تعليمها قوي، مدارس مرتبطة بأديان أخرى، دور العبادة موجودة في هذه المدارس غير الدين الإسلامي.

العناية البالغة بعقيدة الابن :

الدكتور راتب :

أقسم لك بالله يكون قد قدم خطراً لابنه لا يوصف، أكبر خطر هي العقيدة، أنت حينما ترى أن الدين شيء تافه وليس له علاقة بالحياة، ولا بالتقدم، والغرب تقدم بترك الدين، انتهى الابن، لن يكون صادقاً، ولا أميناً، ولا مخلصاً، ولا نافعاً لأمته.

المذيع:

أستاذنا ما الذي يفترض عند حدوث خلاف بين الأم والأب، مثلاً هناك خلافات الابن يحتار ماذا يفعل؟

خلافات الآباء تمزق الأبناء :

الدكتور راتب :

الله عز وجل عندما سمح للزوج أن يهجر الزوجة، أين يهجرها؟ قال تعالى:

﴿ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ﴾

[سورة النساء: 34]



لو هجرها ونام في غرفة ثانية، من كشف الأمر؟ الأولاد تضعضعوا، أتمنى على الآباء والأمهات كل خلافاتهم الخاصة تكون بينهما فقط، دع الابن عنده صحة نفسية، هذه أمه وهذا أبوه يحتار، نمزقه، انظر إلى الآية ما أدقها، قال تعالى:

﴿ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ﴾

[سورة النساء: 34]

فقط الهجران في غرفة النوم.

المذيع:

حتى لا يعلم الأولاد، لو تمّ طلاق وانفصال تام بين الزوجين، سيصل للأولاد أن هناك خلافاً.

الدكتور راتب :

الابن مطالب أن يزور أمه وأباه من الطرفين، لكن ما من داع أن يقول للأب: كنا عند ماما، يغضب الأب، يستطيع أن يزورها خفية.

المذيع:

أستاذنا هل يجوز لأحد الآباء أن يكره بالطرف الثاني؟

الدكتور راتب :

لا يجوز، لأن الأب بالأخير مرجع كبير.

المذيع:

أستاذنا نصيحة للأب الذي يعلم أبناءه بعض السلوكيات الخاطئة، مثل التدخين؟

نصيحة للأب الذي يعلم أبناءه بعض السلوكيات الخاطئة :

الدكتور راتب :

يدفع الثمن باهظاً.

المذيع:

أستاذنا هل هو آثم؟

الدكتور راتب :

طبعاً آثم إثماً كبيراً، أنا عضو بجمعية في سوريا لمكافحة التدخين، عضو مؤسس، الدخان فيه ثلاثة آلاف مادة سامة، فأنا بناء على هذه الحقيقة أقول: ما رأيت مدخناً عاقلاً، هل هناك مدخن بالأرض يمسك السيجارة ويقول: بسم الله؟ بعدما ينتهي: يا رب أدم فضلك علينا؟ إذا كان هناك شخص يفعل هذا فيكون الدخان لا شيء فيه.

المذيع:

الانترنيت تحديداً كواحدة من وسائل الإعلام كيف يمكن للأهل أن يضبطوا أولادهم؟

كيفية ضبط الأولاد عند التعامل مع النت :

الدكتور راتب :

الحقيقة المؤلمة التي لا أحب أن أقولها ولكن سوف أقولها: نحن الآن في عصر لا يمكن لإنسان أن يمنع إنساناً من شيء، قد يوجهه توجيهاً صحيحاً، نلغي الرادع ونكتفي بالوازع، الرادع خارجي، إذا أنت منعته عند رفيقه يشاهد فيلماً، بالليل الساعة الواحدة يفتح و هذه مشكلة.

المذيع:

أستاذنا ليس مع قطع الانترنيت عن الأولاد؟

الدكتور راتب :



يجب أن تعمل توجيهاً، ومتابعة، ومراقبة، لأن هذا الشيء صار بلوى عامة، و هناك جانب إيجابي منه.

المذيع:

قضية الدعاء على الأولاد بعض الآباء والأمهات يدعو على ابنه إذا خالفه بقضية.

تجنب الدعاء على الأولاد :

الدكتور راتب :

لا أراها مناسبة إطلاقاً، الله يهديه، ممكن أن يستجيب الله، ولكن سأقول لك هذه الطرفة: شخص اضطر إلى ثلاثمئة ألف، مضطر لهم جداً، ما ترك شخصاً مظهره ديني إلا سأله، و لم يعطه أحد، جاء شخص غير دين وأعطاه، قال له: ادع لي، قال له: الله لا يهديك، طبعاً هذه طرفة.

المذيع:

أستاذنا في قوله تعالى:

﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾

[سورة النساء:11]

ما هي وصية الله لنا؟

وصية الله للإنسان :

الدكتور راتب :

أولاً قال تعالى:

﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ﴾

[سورة النساء:11]

طبعاً هذه يسمونها جزئية، القصد العام الكليات كلها، لا يوجد إنسان أغلى على الإنسان من ابنه، فإذا أهمله سيدفع متاعب عندما يكبر لا يعلمها إلا الله، كلمة دقيقة لا يوجد شعور يعيشه الأب كأن يرى ابنه كما ينبغي، قال تعالى:

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ﴾

[سورة الفرقان : 74]

تقر بأخلاقه العين، ابن صادق، أمين، عفيف، عنده حياء، عنده خجل، دارس تفوق، والله شيء جميل، والله لا يوجد أغلى من الابن إذا كان كما ينبغي.

المذيع:

قول الله عز وجل:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾

[سورة التحريم: 6]

كيف نقي أولادنا وأهلنا النار أستاذنا؟

كيفية وقاية أهلنا و أولادنا من النار :

الدكتور راتب :

إذا أطلقنا لهم كل شيء من دون رقابة، يوجد بهذا التلفاز ثلاثمئة قناة، وذهب الأب والأم إلى سهرة ولا يوجد انضباط، ولا وازع داخلي، والشاب أول حياته، أما لا هذه ولا هذه.

المذيع:

ماذا يفترض أن يكون عندي وازع ورادع وقوانين، أم وازع وحده؟

الدكتور راتب :

إذا وازع وحده يكفي.

المذيع:

أترك القنوات كلها أم أفلترها.

الدكتور راتب :

أتمنى على الأخوة المستمعين أن يبرمجوا التلفاز كله، الآن هناك برامج دقيقة فقط إخبارية ودينية، هكذا أنا أفعل.

المذيع:

أستاذنا أما أن تترك ألف قناة؟

الدكتور راتب :

أعوذ بالله العقل لا يتصوره هناك أشياء.....

المذيع:

أستاذنا يوجد رادع و وازع ديني، في حال أخطأ الابن، يكتشف أن ابنه شاهد شيئاً غير مقبول أو ابنته استغابت أو تركت فرضاً، أحياناً تتدمر الدنيا في وجهه.

وجوب ارتباط النهي دائماً بالتعليل :

الدكتور راتب :

لا، بخطأ واحد لا يصاب بذلك، أنصحه مرة، مرتين، ثلاث، وأبين له، كيف أبين له؟ أنت عندما تعطيه نهياً فقط يصير مشكلة أما أحياناً فتعطيه نهياً مع التعليل، قال تعالى:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً ﴾

[سورة التوبة: 103]

هذا أمر، لكن ليس الآية إلى هنا:

﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾

هذا يسمى أمراً معللاً، الأمر المعلل يكون المخاطب كبيراً، أي الله عز وجل خاطب المؤمنين بترتيب عال جداً، أمر معلل:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾

[سورة التوبة: 103]

المذيع:

أستاذنا الفاضل يقول النبي صلى الله عليه وسلم:

((مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرعِيهِ اللهُ رَعِيَّة، يَموتُ يَوْمَ يَمُوتُ, وهو غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إلا حَرَّمَ اللهُ عليه الجَنَّة))

[مسلم عن معقل بن يسار]

هذا يشمل الأب؟

الدكتور راتب :

مدير مؤسسة، مدير مدرسة، معلم صف، أي منصب قيادي، بدءاً من الأب إلى أكبر منصب.

المذيع:

أختم بالقضية التي أنت طرحتها أن الابن والبنت هما صدقة جارية.

كيفية جعل الأبناء قرة عين لآبائهم :

الدكتور راتب :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾

[سورة الطور : 21]

أي ألحقنا بهم أعمال ذريتهم.

المذيع:

كيف أجعل أولادي صدقة جارية تنفعني عند الله يوم القيامة؟

الدكتور راتب :



أنت عندما ربيته على الإسلام، على الصدق، على الأمانة، على الورع، ربيته على الحياء، فهذه التربية أتت أكلها، كان ابنك مستقيماً وعنده حياء، وعنده خجل، أنت تقر عينك به، تأتيك سعادة والله لا توصف، أن يكون الابن قرة عين لأبيه وأمه ولأسرته ولمجتمعه.

المذيع:

بارك الله بكم فضيلة الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي، شكراً لكم، نصل بحلقتنا إلى الختام، وكان حديثنا عن تربية الأولاد في زمن الفتن، سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الفصل الثاني : أحاديث شريفة تتحدث عن الفتن في آخر الزمان

2.1 أحوال آخر الزمان

2.2 الفتن كقطع الليل المظلم

2.1 أحوال آخر الزمان

بسم اللـه الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

تمهيد:

أيها الأخوة الكرام؛ قفزت إلى ذهني حكمة متعلقة بتناول الطعام، هذه الحكمة:

اجلس إلى الطعام وأنت تشتهيه ودعه وأنت تشتهيه.

هذه حكمةٌ بالغة في تناول الطعام، اجلس إليه وأنت جائع وقم عنه قبل أن تشبع، أحياناً يطرح موضوع في درس الأحد أول درس ثاني درس ثالث درس أشعر أن الأخوة الكرام تأثروا تأثراً شديداً، أصل إلى الدرس الرابع أو الخامس أشعر أنهم وصلوا إلى حد ما قبل الإشباع فأدع هذا الموضوع إلى وقت آخر وندخل في موضوع جديد، الحكمة من ذلك أن نكون دائماً في تجدد، وأن نأخذ من موضوعات الفقه ومن أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام ما نحن في أمس الحاجة إليه.

الحقيقة في كتاب صحيح البخاري وهو من أصح الكتب بعد القرآن الكريم باب الفتن، وفي هذا الباب أحاديث صحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها ما يدهش، إنسان قد يستوعب عصره، قد يستوعب ثقافة عصره، وقد يتتبع أخبار الأمم السابقة أما أن يكشف لك المستقبل إلى نهاية الدوران طبعاً هذا ليس من عند النبي، قال تعالى:

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً (26) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾

[سورة الجن الآيات: 26-27]

فالذي أخبرنا عنه النبي عليه الصلاة والسلام عن أحوال آخر الزمان ليس من عنده لأنه لا يعلم الغيب إلا الله، ولكن الذي أخبرنا عنه النبي عليه الصلاة والسلام هو من عند الله، لأن كل ما تكلم به النبي لا ينطق به عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

فتن آخر الزمان:

من أجمع الأحاديث المتعلقة بآخر الزمان والذي ينضوي تحت كتاب الفتن في صحيح البخاري أن أبا إدريس الخولاني يقول :

((عنَ أَبَا إِدْرِيسَ الْخَوْلانِيَّ أَنَّهُ سَمِعَ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ يَقُولُ : كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي))

[البخاري . أبي داود . ابن ماجة . أحمد]



هذا منهج أيضاً أين هناك؟ أين الأخطار؟ أين مكامن الشر؟ أين المنزلقات؟ قد تسأل عن الخير وهذا شيء طبيعي وطيب لكن ينبغي أن تبحث عن الخطر أين يكمن الخطر؟ أين يكمن المنزلق؟ متى تزل قدمي؟ ما الذي يجذبني إلى المعصية؟

((كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي))

لأن الخير لا يسبقه لكن الشر يدركه، الخير مع الإنسان، الخير لا يسبق أما الشر يدرك.

((فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ))

في جاهلية زنا، خمر، ربا، ظلم اجتماعي، كبر، عتو، عنجهية، اقتتال لأسباب تافهة، عصبية عمياء، يعني يمد أحدهم رجله يقول من كان أشرف مني فليضربها، يقوم إنسان فيضربها فتنشب حرب تدوم عشر سنوات، أسباب تافهة جداً حروب طاحنة غزو، ونهب، وسلب، وخمر، وزنا، كانت المرأة تتقلب بين عشرة رجال،

وكان أحدهم بكل بساطة يقول لامرأته اذهبي إلى فلان فاستبضعي منه شيء لا يصدق، فوضى بالجنس لا توصف، فوضى بالأخلاق، الخمر شيء في دمهم تمشي، الربا الفاحش، القهر.

((فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ))

جئتنا أنت نعرف أمانتك، وعفافك، وصدقك، نعرف نسبك دعوتنا إلى الله لنعبده ونوحده، ونخلع ما كان يعبد آباؤنا من الحجارة والأوثان، أمرتنا بصدق الحديث، أداء الأمانة، صلة الرحم، حسن الجوار، الكف عن المحارم والدماء، جاءنا خير دللتنا على الله عبدنا الله أطعناه أقبلنا عليه، شرفت قلوبنا بذكره، سعدنا، اطمأننا، اغتنينا، تصادقنا، تحاببنا.



((فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟))

بعد أن جاء الوحي وأنزل القرآن وبين النبي معاني هذا الكتاب والتف العرب حوله وفتحت مكة، ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

((فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قُلْتُ : وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟))

نحن كنا في جاهلية وشر جاءنا الله بك أصبحنا بخير، هل بعد هذا الخير من شر نعم.

((قَالَ : نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ))

الدخن يعني دخان، جو غير صافي، اللون غير صافي لون قريب من السواد، سواد فاقع أو لون رمادي داكن، الدخن الحقد، القلوب غير صافية، العلاقات غير نظيفة، في صلاة وفي صوم وفي حج وفي مساجد وفي قرآن وفي كل شيء ولكن لا يوجد صفاء، لا يوجد حب، لا يوجد علاقات نقية جداً، لا يوجد اندفاع شديد إلى الله.

((قَالَ : نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ ، قُلْتُ : وَمَا دَخَنُهُ ؟ قَالَ : قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي))

تركت السنة، ترك الهدى الذي جاء به النبي، قلدنا الغربيين تتبعناهم، اعتززنا بهم، لو دخلوا جحر ضب لدخلناه، لا نعتز إلا إذا كان الشيء عن الغرب، تقاليدنا، عاداتنا، احتفالاتنا، أفراحنا، أتراحنا، لباسنا، ثيابنا، كل مظاهر حياتنا مقتبس من الثقافة الغربية.

((قَالَ : قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي ، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ))

يصلون أما لقاءاتهم مختلطة، يصوموا، أما دخلهم حرام، يحجوا أما عقيدتهم زائغة، يدخلون إلى بيت الله جميعاً أما في بغضاء، في تحاسد، في طعن، وفي نفوس مريضة.

((قَالَ : قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي ، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ))

في شيء جيد وشيء سيئ، خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً هؤلاء أمرهم إلى الله.

((ركعتان من ورع خير من ألف ركعة من مخلط))

[الجامع الصغير عن أنس]

من هو المخلط؟ هو الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، حديث رائع جداً.

((كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قُلْتُ : وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ قُلْتُ : وَمَا دَخَنُهُ ؟ قَالَ قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِر))

شيء تعرفه من الشرع وشيء ليس من الشرع، شيء فعله النبي وشيء ما فعله النبي، شيء جاء به القرآن وشيء لم يأتِ به القرآن.

((تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ ، فَقُلْتُ : هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟ قَالَ : نَعَمْ))

ولكن يبدو الشر متعاظم.

((دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ))

دعوة إلى المعصية، دعوة إلى الإباحية، دعوة إلى اغتصاب الأموال، دعوة إلى القهر والظلم.

((دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا))



ما أكثر الدعاة إلى النار، ما أكثر الدعاة إلى المعاصي والآثام، ما أكثر الدعاة إلى الفحش والتفحش، ذكرت لكم في درس سابق أن حول الشام ما يزيد عن ثلاثة وستين نادي ليلي ما في هذه النوادي؟ يقومون الليل، يصلون، يقرءون القرآن، أم يرتكبوا المعاصي والآثام؟ ذكرت لكم أيضاً أن في هذه البلدة كما سمعت من أحد الأخوة الكرام الدعاة واستفهمت منه بالهاتف يعني عدد كبير جداً من بيوت الدعارة نعم.

((دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا))

هذه الصحون في بناء واحد كما سمعت أكثر من ستة عشر صحناً في بناء واحد، ما في هذه الصحون؟ فقط من أجل أن يروا الصلاة في الكعبة هكذا يقولون يعني في قلبهم حرقةً لا حدود لها من أجل أن يرى الصلاة في الكعبة، اشتراه ودفع هذا الثمن الباهظ لهذا الهدف فقط، والله يعلم السرائر.

((دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا))

قصة واقعية:



أيها الأخوة الكرام؛ أنا أعني ما أقول، جاء رجل إلى أحد خطباء المساجد وإني أحترمه كثيراً وقال له: حدثت معي هذه القصة أرجوك أن تذكرها على المنبر، وذكرها على المنبر.

أب وزوجته وأولاده يتناولون طعام العشاء ويتابعون المحطات التي تأتي عبر هذه الصحون والتي كلما اتسعت ضاقت صحون المائدة، يبدو

أن محطة ساقطةً فيها فيلم إباحي ما إن ظهر على الشاشة حتى حول الأب المحطة إلى غيرها لكن أحد أبنائه عرف رمزها وتجاهل وبدا أمام أبيه يعني شاب بريء جداً براءة الأطفال في عينيه، وبعد أن آوى الأب والأم إلى فراشيهما، قاما إلى هذا الجهاز وقلبا محطاته حتى عثرا على هذه المحطة وهاج بهما الهياج إلى أن سمع الأب أنيناً في الغرفة المقابلة استيقظ ليجد الذي لا يحتمل، ليصعق، ليجد ابنه فوق ابنته وذكر هذا لخطيب مشهور ورواها على المنبر، وأعتقد أن هذا يقع كثيراً.

((دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : صِفْهُمْ لَنَا ، قَالَ : نَعَمْ قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا))

يعني يتكلمون العربية، جلدهم من جلدنا، من قومنا.

((قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ قَالَ : تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ))

الهدف من هذا الحديث:

طبعاً هذا الحديث له تفاسير كثيرة جداً، يعني التفسير القريب يعني كن مع المؤمنين، آوي إلى مسجد، آوي إلى جماعةٍ طاهرة، جماعةٍ تقية، جماعةٍ مخلصة، انضم إليهم، الجماعة رحمة والفرقة عذاب، استأنس بهم، تقوى على دينك بصحبتهم، قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

[سورة التوبة الآية: 119]



﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾

[سورة الكهف الآية: 28]

((قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ قَالَ : تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ))

لابد لك من جماعة صادقة مؤمنة، عفيفة، طاهرة، مخلصة، بعيدة عن أمور الدنيا، بعيدة عن المصالح، بعيدة عن الرغائب تبتغي وجه الله، هؤلاء كن منهم، كن معهم، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم.

((عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : .. يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَمَنْ شَذَّ شَذَّ إِلَى النَّارِ))

[أخرجه الترمذي]

((قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ قَالَ : تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ ، فَقُلْتُ : فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلا إِمَامٌ))

يعني في بلدة لا يوجد فيها دروس، في بلاد كثيرة لا يوجد فيها دروس.

((قَالَ : فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا))



هذه الفرق الضالة المضلة، والمنحرفة الشاردة، التائهة، التي تفتري على الله الكذب، التي تأتي بشيء ليس من الدين، التي تلغي بعض الدين، هؤلاء الذين يحاربون الإسلام بتفجيره من داخله باصطناع نماذج إسلامية وهي ليست كذلك.

((قَالَ : فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا))

يعني معقول أناس يهاجمون قريةً يذبحون تسعين رجلاً وامرأة ويبقرون بطون الحوامل، ويقال عنهم في الأخبار إنهم الأصوليون المسلمون هذا عمل إسلامي؟ هذا عمل إجرامي من يرضى به هذا لو عرضته على أهل الأرض قاطبةً على مليار ومئتين مسلم هل يقبله هذا هو الدين، الدين قتل، الدين جريمة، الدين بقر امرأة حامل، الدين قتل طفل صغير.

((قَالَ : فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا))

هذه الفرق التي تشوه الدين، تمسخ الدين، تزور الدين، تضيف عليه ما ليس منه، تؤول تأويلاً منحرفاً، هي التي تجهل هؤلاء.

((قَالَ : فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا ، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ))

طبعاً الإنسان أحياناً يكسب مكاسب كبيرة إذا كان مع أناس منحرفين، يضمنوا له بيت، مركبة، مركز، إياك.

((اعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا))

نسمع من حين إلى آخر أنه يوجد عبدة شيطان وهذه انتشرت في معظم البلاد الإسلامية، يعني شيء لا يقبله منطق، لا يقبل منطقاً ولا خلقاً، ولا ديناً ولا ذوقاً إطلاقاً.

((اعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا ، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ))



يعني إذا كان موقفك الشريف، النبيل منعك من المكاسب المادية اقبل خشونة الحياة ولا تكن عوناً لهؤلاء على الفساد والإفساد.

مرة قال لي أخ وله أخ مقيم في بلد غربي ما وظيفته؟ وظيفته أنه يجري تعديلات على الأفلام الإباحية، إنسان أحياناً يكون عمله كله معصية، مبني عمله على معصية، على إفساد على إيذاء على إيقاع الشر، على ابتزاز الأموال، عملك شيء خطير جداً، ابحث عن حرفة شريفة.

((عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ خُذُوا مَا حَلَّ وَدَعُوا مَا حَرُمَ))

[أخرجه ابن ماجة]

((إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها ، فاتقوا الله عباد الله وأجملوا في الطلب واستجملوا مهنكم))

((حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ))

يعني يجب أن توطن نفسك على أن تعيش حياةً خشنة من أن تكسب مالاً حراماً يجب أن توطن نفسك على أن تعيش حياةً خشنة من أن تكون أداةً بيد الأشرار، يجب أن توطن نفسك على أن تعيش حياةً خشنة من أن تكون عوناً على إفشاء الضلال والمعصية.

المغزى الحقيقي للحديث:

هذا الحديث أيها الأخوة من أخطر الأحاديث .

((أَبَا إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ يَقُولا كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ ؟ قَالَ نَعَمْ، فَقُلْتُ : هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ ، قُلْتُ : وَمَا دَخَنُهُ ؟ قَالَ : قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي))

قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾

[سورة الأنفال الآية: 33]



يعني إذا كانت سنتك في حياتهم مطبقةً ما كان الله ليعذبهم، لو أنهم لم يطبقوا سنتك واستغفروا ربهم ولزموا ورجعوا أيضاً هم في بحبوحة ثانية بحبوحة المغفرة.

((قَالَ : قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي ، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ ، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟ قَالَ : نَعَمْ دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا))

قرأت في الجريدة أنه السلطات في تركيا منحت امرأة أعلى وسام تركي من الدرجة الممتازة لأن هذه المرأة حققت أكبر ضريبة نالتها الخزينة، ماذا تعمل هذه المرأة؟ تدير أكبر شركة دعارة في العالم استحقت وسام من الدرجة الأولى.

((كيف بكم إذا رأيتم المنكر معروفاً والمعروف منكراً))

[رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط عن أبو هريرة رضي الله عنه]

الأصل الشر، الأصل هي المعصية.

((فَقُلْتُ : هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟ قَالَ : نَعَمْ دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا ، قَالَ : نَعَمْ قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ ، قَالَ : تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ ، فَقُلْتُ : فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلا إِمَامٌ قَالَ فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ))

[البخاري . أبي داود . ابن ماجة . أحمد]

أحاديث شريفة متنوعة :

((عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ))

[أخرجه الترمذي]

((عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَدْعُو عَصَبِيَّةً أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ))

[أخرجه النسائي]



العصبية انحياز أعمى، قال الشاعر:

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد الانحياز الأعمى إلى أمة أو إلى قوم، ولو كانوا منحرفين، ولو كانوا ضالين مضلين أنا معهم على الحق أو على الباطل.

((مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ))

غير واضحة، الإسلام واضح، الإسلام يعمل تحت أشعة الشمس كما قال عليه الصلاة والسلام:

((عن الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ يَقُولُ وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا قَالَ قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلا هَالِكٌ))

[الترمذي . أبي داود . أحمد . الدارمي]



ذكرت لكم كثيراً أننا لو اخترنا أكبر جامع في الشام الأموي وقد يتسع إلى مئة ألف مصلي واخترنا أعظم خطيب في الشام وألقى على هؤلاء خطبةً من أروع الخطب لكن الأبواب مغلقة فالصلاة باطلة لماذا؟ لأن دين الله لكل الخلق، دين مغلق لا يوجد، شيء لا يقال للعامة لا يوجد، دين الله، الحق لا يخشى البحث، ولا يستحيا به، ولا يحتاج إلى أن تكذب له، ولا إلى أن تكذب عليه، ولا يحتاج إلى تضخيم، ولا إلى تقليل من شأن خصومه، الحق حق هو أعظم من ذلك وأجل من ذلك، لذلك الإسلام أممي، الإسلام يلقى على رؤوس الأشهاد لأنه دين الله عز وجل.

((مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ))

يعني تحت راية، مبدأ غير معروف، قتل في سبيل مبدأ وضعي من صنع البشر ما أنزل به قرآن، يعني دعوة ضبابية، دعوة غير واضحة، دعوة غير متماسكة، دعوة غير قوية، دعوية ينقصها دليل، هؤلاء الذين يعبدون الجرذان، الذين يعبدون البقر، يعبدون النار، ومعظم الناس الذي يعبد شهوته، قال تعالى:

﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾

[سورة الفرقان الآية: 43]

((مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ))

من علامات آخر الزمان:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ يَوْمٌ لا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِيمَ قَتَلَ وَلا الْمَقْتُولُ فِيمَ قُتِلَ فَقِيلَ كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ قَالَ الْهَرْجُ الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ))

[أخرجه مسلم]

يقول لك مائة ألف جرحوا في ليلة واحدة، في جنوب إفريقيا خمسة مئة ألف بأيام ذبحوا، نصف مليون مياه النيل تبدلت.

((يَوْمٌ لا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِيمَ قَتَلَ وَلا الْمَقْتُولُ فِيمَ قُتِلَ))

يوم يذوب قلب المؤمن في جوفه مما يرى ولا يستطيع أن يغير.

((مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَدْعُو عَصَبِيَّةً أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ))

قال عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَنَسٍ رَضِي اللَّهم عَنْهم قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ : هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا قَالَ تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ))

[أخرجه الترمذي . أحمد]



يعني المؤمن ودوداً مع كل الناس لكن حبه وولائه لله عز وجل هناك رواية أخرى لهذا الحديث:

((عَنْ أَبِي سَلامٍ قَالَ : قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا بِشَرٍّ فَجَاءَ اللَّهُ بِخَيْرٍ فَنَحْنُ فِيهِ فَهَلْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قُلْتُ هَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الشَّرِّ خَيْرٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قُلْتُ : فَهَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الْخَيْرِ شَرٌّ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قُلْتُ : كَيْفَ ؟ قَالَ : يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ وَلا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ))

يعني القلب شيطان، المظهر إنسان، أو ذئب في صورة إنسان ضبع في صورة إنسان، ثعلب في صورة إنسان، يعني وحش في صورة إنسان.

((قَالَ : قُلْتُ كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلأَمِيرِ وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ وَأُخِذَ مَالُكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ))

[أخرجه البخاري . أبي داود . ابن ماجة . أحمد]

الحكم الشرعي لا تنهى عن منكر إذا نتج عن ذلك فتنةً هي أشد من المنكر نفسه، وهذا ما يقع، الإنسان يجب أن يختار أهون الشرين لو أنكرت منكراً ونتج عن هذا المنكر فتنةٌ أشد ألف مرة من المنكر الذي تنكره.

يروون قصة مشهورة كثيراً أن سيداً عنده عبد رأى على رأس سيده ذبابة فقلق من أجله فأمسك صخرةً وضرب سيده بها من أجل أن يقتل الذبابة فسحق رأسه ممكن، هل يمكن من أجل أن تقتل ذبابة على رأس إنسان أن تسحق رأسه، هذا ما يفعله بعض الناس، حروب أهلية تدوم عشرات السنين، المنكر لا ينكر إلا إذا كانت النتيجة إلى خير، أما إذا أدى الإنسان المنكر إلى فتنة أشد من المنكر الذي تنكره عندئذٍ وقعت في فتنة كبيرة.

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ))

[أخرجه النسائي . ابن ماجة . أحمد]

يعني الشيء المعروف لما الإنسان عندما ينفصل عن جماعة المؤمنين ويفك يده من طاعة من عاهده على الطاعة، ويفارق الجماعة يموت ميتة الجاهلية.

((وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ))

أيها الأخوة الكرام؛ أحاديث كثيرة وردت في صحيح البخاري عن فتن آخر الزمان ومن هذه الأحاديث أيضاً:

((وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ))

فكل إنسان سلك طريقاً ملتوياً طريق الجريمة والانحراف والعنف بلا مبرر ينطبق عليه هذا الحديث:

((وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ))

((حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا عَاصِمٌ وَهُوَ ابْنُ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ نَافِعٍ قَالَ جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُطِيعٍ حِينَ كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحَرَّةِ مَا كَانَ زَمَنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ فَقَالَ : اطْرَحُوا لأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ وِسَادَةً ، فَقَالَ : إِنِّي لَمْ آتِكَ لأَجْلِسَ أَتَيْتُكَ لأُحَدِّثَكَ حَدِيثًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُهُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لا حُجَّةَ لَهُ وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً))

[أخرجه أحمد]



يعني مثيروا الفتن، والاضطرابات، وهذه الفتن تنتهي بقتل الأبرياء وسفك الدماء هؤلاء يموتون ميتةً جاهلية.

أيها الأخوة؛ في بعض الأحاديث أيضاً وشرحها قيل:

((في آخر الزمان يكون بعد أئمة يهتدون بهدي ولا يستنون بسنتي))

((قَالَ : قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي))

هناك من يدعو الآن إلى كتاب الله وحده من دون السنة ويصف السنة بأنها فهم مرحلي من رسول الله عليه الصلاة والسلام لا يعتدون بها، هناك دعوة إلى إلغاء السنة، هناك دعوة إلى الاكتفاء بالقرآن الكريم، ومن يدعو بهذه الدعوة يخالف نص القرآن الكريم لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾

[سورة الحشر الآية: 7]

أحكام كثيرة جداً لا نعرفها إلا من رسول الله، أنصبة الزكاة من أين أتينا بها؟ قال تعالى:

﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ﴾

[سورة المجادلة الآية: 13]

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

[سورة التوبة الآية: 103]

أما تفاصيل الزكاة، مصارف الزكاة، أنصبة الزكاة، ملابسات الزكاة هذه من بينها؟ إلا النبي عليه الصلاة والسلام، فهذه الدعوة إلى إلغاء السنة دعوةٌ خطيرة جداً، وأما قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((تَعْرِفُ منهم وتُنْكِرُ))



معنى هذا أنه في شيء مقبول وشيء غير مقبول، مع أن منهج الله عز وجل لا يمكن أن نقطف ثماره إلا إذا طبقناه بكامله من جميع جوانبه، وفي شرح بعض هذه الأحاديث: أنه من أنكر المنكر برأ ومن كره سلم.

يعني المنكر يجب أن تنكره فإذا شهدت معصيةً وأنكرتها كمن غاب عنها، ومن غاب عن معصية فأقرها كان كمن شهدها، إذاً أنت لابد لك من البراء والولاء، البراء والولاء.

قال ابن مسعود وصى من سأله عليك بالجماعة فإن الله لم يكن ليجمع أمة محمد على ضلالة، وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : إِنَّ أُمَّتِي لا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلالَةٍ فَإِذَا رَأَيْتُمُ اخْتِلافًا فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الأَعْظَمِ))

[أخرجه ابن ماجة]

النبي عليه الصلاة والسلام معصوم بمفرده ، بينما أمته معصومة بمجموعها، ولما قال النبي عليه الصلاة والسلام عليكم بالجماعة قال قوم المراد بهم أهل العلم لأن الله جعلهم حجةً على الخلق والناس تبع لهم في

أمر الدين، يعني عليكم بالجماعة من الجماعة؟ دهماء الناس لا، سوقتهم، لا، رواد الملاهي، لا، إذا قال النبي الكريم عليكم بالجماعة فسره الصحابة الكرام المراد أهل العلم لأن الله جعلهم حجة على الخلق والناس تبع لهم في أمر الدين.

وفي شرح آخر للحديث الأول:

((فإن مُتَّ يا حذيفة وأنتَ عاضّ على جِذْلِ شجرةٍ خير لك من أن تَتَّبعَ أحداً منهم))

يعني إذا فرقة ضالة، منحرفة، ماجنة، لو حقق من خلالها مكاسب كثيرة، إن مت فقيراً عاضاً على أصل شجرة خير لك من أن تتبع أحداً من هؤلاء، وفي أيضاً في شرح للحديث الأول:

((وسيقوم فيهم رِجَال قُلوبُهم قلوبُ الشياطين في جُثمان إنْس))

يعني الجسم إنسية يعني الجسم إنسي أما القلب شيطاني.

أيها الأخوة الكرام؛ سقت لكم هذه الأحاديث لأبين لكم أن النبي صلى الله عليه وسلم أطلعه الله على بعض الغيب الذي يكون في آخر الزمان، وهذا الاطلاع فائدته الكبيرة أنه يقي، وفي تحذير، فنحن كما فهمنا من هذه الأحاديث الشريفة علينا أن نبقى، وأن نلزم طاعة الله وطاعة رسوله، وأن نكون مع أخوتنا المؤمنين الذين أمرنا أن نكون معهم قال تعالى:

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾

[سورة الكهف الآية: 28]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

[سورة التوبة الآية: 119]

2.2 الفتن كقطع الليل المظلم

بسم اللـه الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصداق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

تمهيد:

أيها الإخوة الكرام؛ مع حديث شريف أخرجه الإمام البخاري ومسلم في كتاب إتحاف المسلم بما في الترغيب والترهيب من صحيح البخاري ومسلم.



عن حُذَيْفَةُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ))

[متفق عليه]

أيها الإخوة الكرام؛ وجدت هذا الحديث ينطبق أشد الانطباق على آخر الزمان.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرها))

[أخرجه الحاكم في مستدركه عن أبو مويهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم]

فتن لا تعد ولا تحصى، والفتنة شيء يدعوك إلى معصية فإما أن تنتصر وإما أن تفتن بهذه المعصية، والفتن في الشهوات، وأول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء، واتقوا فتنة النساء، فالمرأة فتنة معنى فتنة يمكن أن تدفعك إلى معصية الله، والمال فتنة يمكن أن يقودك حب المال إلى أن تأكله حراماً، والولد فتنة يمكن من أجل أن تتباهى به أن تدفعه إلى طريق النار، والبنت فتنة يمكن أن تعطيها مرادها من دون محاسبة فتكون طريقاً لك إلى النار، والمكانة فتنة حفاظاً على المكانة قد يسلك الإنسان طريق النار.

الفتنة:

الفتن لا تعد ولا تحصى كل الشهوات التي أودعها الله في الإنسان هي فتن، لكن معنى فتنة بأعمق تفسير امتحان تنجح أو ترسب، تنجح إذا انتصرت على نفسك وترسب إذا أغوتك هذه الفتنة قال تعالى :

﴿ وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً﴾

[سورة طه الآية: 40]



انتصر سيدنا موسى على نفسه، فإذاً كل الناس ممتحنون، كل الناس يفتنون، كل الناس يبتلون، فإما أن ينجحوا وإما أن يسقطوا، إما أن ينتصروا على أنفسهم وإما أن تغلبهم شهواتهم فيسقطوا من عين الله، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((أتتكم الفتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع أحدكم دينه بعرض من الدنيا قليل))

[أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط عن حذيفة بن اليمان]

ونحن في زمن الفتن وسلامة الرجل في الفتنة أن يلزم بيته، إن مشيت في الطريق فأنت في فتنة، وإن طالعت مجلة من دون تدقيق فأنت في فتنة، وإن فتحت موقعاً معلوماتياً فقد تقع في فتنة، وإن شاهدت محطة قد تقع

في فتنة، إن كل شيء حول الإنسان اليوم فيه فتنة، فيه ما يصرفه عن طاعة الله، فيه ما يرغبه بمعصية الله، فيه ما يدفعه إلى الهلاك، فيه ما يزين له الدنيا، فيه من يضع أمامه العقبات، نحن في زمن الفتن، والبطل هو الذي ينجو من الفتن، هو الذي يتوفاه الله على إيمان، نحن في زمن الفتنة وسلامة الرجل في الفتنة أن يلزم بيته، هو الحصن الوحيد أن يلزم بيته ومسجده، وقد قال بعض المفسرين:

﴿ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً﴾

[سورة الكهف الآية: 16]

ولعل بيتك الذي تعبد الله فيه ولعل مسجدك الذي تتلقى منه العلم ومن إخوانك المودة هو ما يحصن الإنسان من الفتنة.

عن حُذَيْفَةُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا ....))



هناك فتن في كسب المال، هناك فتن في إنفاقه، هناك فتن في البيع والشراء، هناك فتن في غش المسلمين، والله باب الغش لا يعد ولا يحصى، أنواع الغش كثيرة هناك فتن في وسط البيت وأنت في البيت هناك فتن، هناك فتن في غرفة النوم، هناك فتن في غرفة الجلوس، هناك فتن في غرفة الاستقبال، هناك فتن في الطريق، هناك فتن في مطالعة الكتب، هناك فتن في الشاشة، هناك فتن في المذياع، هناك فتن في كل أحوال الإنسان، قال تعالى:

﴿ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾

[سورة المؤمنون الآية: 30]

شاءت حكمة الله أن يكون الإنسان مبتلى في الدنيا، والفتنة هي الامتحان وأنت ممتحن دائماً، ممتحن فيما أعطاك، وممتحن فيما زوى عنك، والبطولة أن تنجح في هذه الفتن، المرأة فتنة فإذا استعذت بالله، الله عز وجل يقول:

﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾

[سورة النساء الآية: 76]

﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾

[سورة يوسف الآية: 28]

كيد الشيطان ضعيف وكيد المرأة عظيم، لأن لك حاجة عند المرأة، لأنك مفتقر إلى الطرف الآخر، هذا الافتقار قد يحملك على معصية الله، فلذلك أنت حينما تبتعد عن أسباب الفتنة تنجو منها، أما إذا دخلت في أسبابها في الأعم الأغلب تقع فيها.

مثال عن الفتنة:

يعني تيار كتب عليه من بعيد ممنوع الاقتراب لمسافة عشرة أمتار من التيار عالي التوتر، هذا التيار عالي التوتر، يمكن إذا وصل الإنسان إلى عشرة أمتار قبله أن يجذبه وأن يحرقه، فإذا أردت أن تكون آمناً من هذه الفتنة ينبغي أن تدع بينك وبينه هامش أمان، وهذا معنى قوله تعالى:

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾

[سورة البقرة الآية: 187]



أما إذا سولت لك نفسك أن تقتحم حرم هذا الخط الكهربائي عالي التوتر ففي الأعم الأغلب سيأخذك.

((ما خلا رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن أبو أمامة الباهلي]

الخلوة بالمرأة تجاوزت الخط الأحمر، الخلوة بالمرأة تجاوزت حرم هذه الفتنة، صحبة الأراذل تجاوزت الخط الأحمر، أن تملأ عينيك من الحرام تجاوزت الخط الأحمر، هناك طرق لا تعد ولا تحصى كلها تجاوزات في الخط الأحمر، ومن تجاوز الخط الأحمر هو معرض لهذه الفتنة، لذلك الآية تأتي أحياناً، قال تعالى:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا﴾

[سورة الإسراء الآية: 32]

ليس في القرآن نهي عن الزنا بل فيه نهي عن أن نقترب من الزنا، يحميك الله عز وجل ما دمت بعيداً عن الخط الأحمر الذي قبل المعصية، فلذلك في آخر الزمان

((تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا ...))

فالحصير أحياناً أعواد كثيرة جداً قد تزد عن ألف عود وتشبيه دقيق جداً.

الحديث الشريف

((تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا ...:

فتنة في المال، فتنة في القرض بفائدة، فتنة إقراض الإنسان مع انتظار هدية، مع انتظار ميزة، مع انتظار منفعة، هذه فتنة، الاختلاط فتنة، تحب طبعاً يغطى هذا الكلام أن جمع الأسرة جمع شتاتها، في شابات هن أجنبيات بالنسبة إليك، وفي حفل، وفي لقاء أسري، وفي طرف تلقى، وفي تعليقات، وفي غمز ولمز، الاختلاط فتنة، الصحون فتنة، الإذاعة بأغانيها فتنة أحياناً، المجلات بما فيها من صور فتنة، يعني لو ذهبنا نعدد الفتن قد لا ننتهي لكن النبي عليه الصلاة والسلام في أصح الأحاديث فيما أخرجه البخاري ومسلم يبين عليه الصلاة والسلام أن كل الفتن تعرض على القلوب واحدة:

((تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا ...))

تعلق بها، مال إليها، أحبها، استلطفها، ركن إليها، تعلق بها.

((فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ...))



صار فيه نقطة سوداء في القلب، هو القلب مجموع نقاط تسود بعضها هذه الفتنة الإنسان لم ينجح بها إذاً نكتت فيه نكتة سوداء.

بالمناسبة لو أن الإنسان ترك صلاة الجمعة ثلاث مرات متتاليات نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا تابع ترك الجمعة ثم يكون الران، ثم تلا النبي عليه الصلاة والسلام قوله تعالى:

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

[سورة المطففين الآية: 14]

فأي قلب أشربها يعني إذا أشرب فتنة واحدة كل فتنة تحتل في القلب مكان هذا المكان إما أن يكون أبيضاً بتركها وإما أن يكون أسوداً بفعلها.

المرأة لها مكان في القلب مكان المرأة في القلب نقطة بيضاء منيرة تزوج فقط أخذ من الشهوة ما سمح له منها، بقية الله خير لكم.

((... فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ...))

ببعض البلاد المتقدمة مخالفات للسير ما في لكن أي مخالفة تحسب له من إجازة القيادة، نقطة البطاقة كلها اثنتا عشرة نقطة ارتكب مخالفة ثبتت نقطة سوداء، والمخالفة الثانية نقطة إلى أن تملأ ساحة هذه البطاقة بالنقاط السوداء تسحب منه الإجازة ويمنع أن يقود مركبة لمدة ستة أشهر ثم لمدة سنة ثم يمنع أن يقود السيارة كلياً في هذه البلاد.

القلب فيه نقاط كل فتنة أشربها القلب نكتت فيه نكتة سوداء، لكن في كلام لطيف ببعض البلاد إذا ارتكب مخالفة سير جاءت هذه المخالفة على صحيفته فأي إنسان أراد أن يستخدمه أن يعينه موظفاً يطالبه بصفحته الاجتماعية كل أخطاءه المدنية في هذه الصفحة لكن في مجموعة مخالفات إذا مضى عامان ولم تتكرر تمحى آلياً، يعني إذا إنسان أخطأ ولم ينجح في امتحان بعض الفتن وتاب منها توبة نصوحة أنا أعتقد أن خالق الأكوان يمحوها عنه بعد حين.

((تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ ...))

هذا القلب مجموعة نقاط إما أنها بيضاء منيرة أو سوداء مظلمة، فالفتنة التي تنتصر نفسك عليها نكتة بيضاء متألقة منبع ضوئي، والفتنة التي غلبت عليها مكانها في القلب نقطة سوداء مظلمة، بعد الممارسات والحركة بالحياة والانطلاق إلى العمل والعودة إلى البيت أول يوم وثاني يوم والخميس والجمعة وأول أسبوع وثاني أسبوع وشهر تلو الشهر تتراكم النقاط البيضاء أو تتراكم النقاط السوداء فإذا تراكمت النقاط البيضاء. قال :

((... حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا ...))

هذا القلب أبيض منور بنور الله يكبر ولا نرى كبره فيتضاءل أمامه كل كبير ويسود وقد لا نرى اسوداده فيتعاظم عليه كل حقير.

((... حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ...))

سبحان الله الانتصار على النفس يقود إلى انتصار والانهزام أمام النفس يقود إلى انهزام، الإنسان طبيعته حركية ديناميكية وليست سكونية فأول خطوة إيجابية تقوده إلى خطوة إيجابية، هذا المعنى أشار النبي عليه الصلاة والسلام إليه حينما سأله أحد أصحابه:

((عن أبو ذر الغفاري رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا ينجي العبد من النار؟ قال: الإيمان بالله))

جاء السؤال الثاني:

((قال: قلت: يا نبي الله إن مع الإيمان عملاً ، قال: ترضخ مما رزقك الله أو يرضخ مما رزقه الله، قال: قلت: يا نبي الله أرأيت إن كان فقيراً لا يجد ما يرضخ؟ قال : يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، قال: قلت: يا رسول الله أرأيت إن كان عيياً لا يستطيع أن يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر؟ قال صلى الله عليه وسلم: فليصنع لأخرق، قال: قلت يا رسول الله أرأيت إن كان أخرق لا يحسن أن يصنع؟))

يعني ليس معقول ولا ميزة له الإنسان كان السؤال صار محرج.

((قال: فليمسك أذاه عن الناس))

فجاء السؤال الأشد إحراجاً.

((قال: قلت: يا نبي الله أرأيت إن فعل هذا ليدخل الجنة؟ قال: ما من مؤمن يصنع خصلة من هذه الخصال إلا أخذت بيده حتى يدخل الجنة))

[أخرجه ابن أبي شيبة في مسنده]

الإنسان طبيعته حركي يعني إذا كف أذاه عن الناس هذا الكف عمل طيب، نقله إلى أن يعين الناس في حاجاتهم، فإذا أعان الناس في حاجاتهم هذا العمل الطيب، نقله إلى أن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، الآن ما تكلف شيئاً فإذا أمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر هذا العمل ينقله إلى أن يعطي مما

أعطاه الله، لذلك خطوة نحو المعصية تقود إلى معصية أشد وخطوة نحو الطاعة تقود إلى طاعة أشد، لذلك ابن القيم رحمه الله تعالى قال:



من جاءته خاطرة. يعني أضعف شيء ممكن أن يرد إليك خاطرة قال : فإن أهملها انقلبت إلى فكرة، الفكرة أوضح فإن أهملها انقلبت إلى رغبة ، صار فكرة انتهت إلى رغبة ، فإن أهملها أصبحت شهوة، الشهوة أقوى فإن أهملها أصبحت إرادة فإن أهملها أصبحت فعلاً فإن تابعه أصبحت عادة.

هو أصعب شيء أن يدع الإنسان عاداته، لذلك حينما قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾

[سورة النساء الآية: 17]

معنى ذلك أنه ينبغي أن تقلع عن المعصية فور وقوعها ولا أن تمهل حتى تنقلب هذه المعصية إلى عادة، هذا المعنى جاء في القرآن الكريم قال تعالى:

﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾

[سورة الحديد الآية: 16]

طال عليهم الأمد في المعاصي فقست قلوبهم.

((... حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ...))

يعني الإنسان حينما ينتصر يقوده انتصاره على نفسه إلى انتصار آخر ولا شيء كالنجاح لأنه يقود النجاح إلى نجاح آخر، أحياناً إنسان يفتح محل ينجح نجاحاً كبيراً، فرع ثاني، فرع ثالث، فرع رابع، فرع خامس، في كل مكان في العالم النجاح يقود إلى النجاح والانتصار على الذات يقود إلى انتصار أشد والإنسان حركي وليس سكوني.

يزداد إيماناً يزداد تألقاً يزداد قوة على نفسه يزداد ثباتاً على الحق فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ.

((... أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا ...))

يعني لونه كلون الغبرة في ألوان قذرة، في ألوان هي الحقيقة ليست ألوان لكن تراكم التراب مع الطين مع الزيت مع الدخان ترى البناء لونه قذراً، لون منفر، لون مخرش، قضية الألوان قضية مهمة جداً في ألوان توحي بالراحة في ألوان توحي بالاتساع البيت الصغير، قد يطلى بلون سماوي هذا يوحي بالاتساع، والبيت البارد يطلى بلون حار، اللون السكري يوحي بالدفء والإنسان الذي طوله محدود يجب أن لا يلبس مربعات يقصر أكثر، يجب أن يلبس مقلم تقليمة ناعمة فقضية الألوان قضية لها تأثير كبير جداً، القلب الأبيض كما قال عليه الصلاة والسلام:

((أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا ...))

لونه بلون الغبرة قال تعالى:

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

[سورة المطففين الآية: 14]

وسبحان الله هذا شيء لا يتخذ مقياساً لكن ترى في وجه صافي في وجه مشرق في وجه متألق في وجه عليه غبرة في وجه أسود وبالنهاية في نهاية النهاية.

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾

[سورة آل عمران الآية: 106]

لي صديق يعمل قاضياً للتحقيق في قصر العدل مرة زرته وجدت أمامه إنساناً والله له وجه والعياذ بالله أسود كما قال النبي مرباد كان قاتل يحقق معه، فتح الباب ودخل صديق القاضي ومكلفه بخدمة وأنجز له إياها وجه متألق هكذا وازنت بين الوجهين أين الثرى من الثريا.

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾

[سورة آل عمران الآية: 106]

لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ))

[الترمذي ، أبو داود ، أحمد ، ابن ماجه]

البياض لون ثياب أهل الجنة واللون الأسود يوحي أحياناً بالبعد عن الله عز وجل.

((... وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا ...))

الكوز إناء إذا أملت الإناء الماء يندلق منه فيصبح فارغاً، فلما القلب الذي هو منظر الرب، الذي هو مهبط تجليات الله، الذي هو مكان أنوار الله إذا مال إلى الدنيا، تصور النور خرج منه صار قلب كالكوز مجخياً، ما صفات هذا القلب؟ قال:

((...لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا...))



أيها الإخوة؛ من أروع ما في كلمة معروف أن الفطرة السليمة تعرفه ومن أروع ما تعنيه كلمة المنكر أن الفطرة السليمة تنكره ما دام قلبك ينكر المنكر على سجيته من دون تعليم، ما دام قلبك ينكر المنكر على سجيته فهذه نعمة كبرى، وما دام قلبك يعرف المعروف على سجيته فهذا عمل عظيم، يعني قلبك سليم يعني قلبك لم يشوه يعني فطرتك سليمة لم تطمس مادمت تعرف المعروف معروفاً وتنكر المنكر إنكاراً، لكن كما حدثنا النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((كيف بكم إذا لمْ تأمروا بالمعروفِ ولم تَنْهَوْا عن المنكر؟))

[أخرجه زيادات رزين عن علي بن أبي طالب]

المعروف موجود ومعروف أنه معروف لكن في تقصير لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر.

((قالوا: يا رسول الله ، وإنَّ ذلك لكائن ؟ قال: نعم، وأشدُّ ، كيف بكم إذا أمرتُم بالمنكر))

المنكر موجود لكنكم أمرتم بالمنكر بدافع من شهواتكم ونهيتم عن المعروف لأن المعروف يقيد حركاتكم.

((قالوا: يا رسول الله وإنَّ ذلك لكائن؟ قال: نعم، وأَشدُّ كيف بكم إذا رأيتُمُ المعروفَ منكرا والمنكرَ معروفا))



أخطر حالة هذه الحالة أن تتبدل القيم أنت حينما تحسن تتهم بعقلك، حينما تمتنع عن قبض ورقة يانصيب لأن هذا الدخل حرام تتهم بعقلك، حينما تمتنع عن سفر إلى بلاد يضيع فيها دينك تتهم بعقلك، حينما تمتنع عن أخذ مال تحل به كل مشكلاتك لكن فيه شبهة فتقول معاذ الله إني أخاف الله رب العالمين تتهم بعقلك.

من هنا أخطر حالة يعيشها المسلمون اليوم أن المنكر معروف والمعروف منكر ومن أدق أدعية النبي عليه الصلاة والسلام:

((اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه))

هذا القلب مهبط تجليات الله كان هذا القلب ممتلئاً بنور الله لأن الطاعة تملأ القلب نوراً، من علامات المعصية أنها تذهب النور من الوجه والقلب فهذا القلب كالكوز مجخياً لما مال إلى الدنيا خرج منه نور الله عز وجل.

الآن ما صفات هذا القلب؟

((... لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا ...))



يقول لك عادي باللغة الدارجة الفتاة جلست بأبهى زينتها أمام صديق زوجها يقول لك عادي، ممكن أن تفعل المرأة كل شيء عادي، ممكن أن تلتقي بأي إنسان عادي، ممكن أن تأكل كل شيء عادي، يعني إنسان متمسح.

((... لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا ...))

الآن علامة المؤمن أن الذنب عند المؤمن كالجبل جاثمٍ على صدره علامة المنافق أن ذنبه

كالذبابة أمام أنفه.

الآن الذنب كلما صغر في عين الإنسان كبر عند الله قال تعالى :

﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾

[سورة النور الآية: 15]

وكلما كبر عند الإنسان صغر عند الله، العلاقة بين رؤيتك للذنب وبين حجم الذنب عند الله علاقة عكسية يعظم الذنب عندك يصغر عند الله، يصغر عندك يكبر عند الله لهذا قيل: لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار.

((.. وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ))

قال تعالى:

﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾

[سورة الفرقان الآية: 43]

في سفر بعيد التقيت مع أخ طيب له ابن قال لي هذا الابن أهلكني يا بابا حرام واي حرام، يا بابا هذا عيب واي عيب، هذا كالكوز مجخياً، انتهى.

الخلاصة:

الحقيقة علامة إيمانك علاقتك بالذنب من هنا قال عليه الصلاة والسلام:

((لَو لَم تُذنِبُوا لَذَهَبَ الله بِكُمْ))

[أخرجه مسلم عن أبو هريرة رضي الله عنه]

هل معنى هذا الحديث أن نسارع إلى الذنب؟ مستحيل وألف مستحيل.

((لَو لَم تُذنِبُوا لَذَهَبَ الله بِكُمْ ، وَلَجَاءَ بقوم يُذْنِبُونَ))



يعني لو لم تذنبوا، يعني لو لم تحسوا بذنوبكم، فلان لعله مات يأتي الطبيب يضع يده على النبض يقول ما في نبض أبداً معناها مات، في علامة ثانية يأتي بمرآة يضعها أمام أنفه ما في بخار ماء أبداً معنى هذا أنه ميت، في علامة ثالثة يأتي بمصباح شديد ويضعه على بؤبؤ العين ما تقلصت يقول لهم عظم الله أجركم، هذا ميت.

والحقيقة الإنسان إذا ما أنكر منكراً ولا أمر بالمعروف ما تأثر بمنكر فعل الذنب ولم يتأثر انتهى عند الله عز وجل، هذا معنى الحديث:

((لَو لَم تُذنِبُوا لَذَهَبَ الله بكُمْ ، وَلَجَاءَ بقوم يُذْنِبُونَ))

معنى يذنبون إذا أذنبوا يبكون يستغفرون يصححون أخطاءهم، نعيد الحديث مرة أخيرة.

عن حُذَيْفَةُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ))

[متفق عليه]

ولاحظت ملاحظة أن الإنسان إذا أقام إقامة دائمةً مع المتفلتين مع العصاة مع المذنبين كلما مضى أسبوع يقبل معصية لهم ويهضمها وفي النهاية يفعلها وفي النهاية يدافع عنها وفي النهاية يأمر بها، يقبلها يستحسنها يعذرهم بهذا يفعلها معهم يدافع عن نفسه إذا اتهم ثم يأمر بها لذلك قال تعالى:

﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾

[سورة هود الآية: 113]

لذلك من أقام مع المشركين برأت منه ذمة الله. لأنهم ينقلونك إلى سلوك ليس إسلامياً ولا تألفه أنت.

أيها الإخوة؛ هذا الحديث لعله ينطبق على المسلمين اليوم أشد الانطباق وما لم يبادروا إلى بيوتهم أو مساجدهم وما لم يلزموا دروس العلم وما لم تشحن نفوسهم شحنة روحية عالية لن يستطيعوا مقاومة الفتن التي في هذا الزمان.

((أتتكم الفتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع أحدكم دينه بعرض من الدنيا قليل))

الفصل الثالث : قمع الفتن

3.1 قمع الفتن1 (الفرار إلى الله)

3.2 قمع الفتن2

3.3 ماذا تفعل حيال الفتن؟

3.4 أهمية الكلمة في زمن الفتن

3.1 قمع الفتن1 (الفرار إلى الله)

بسم اللـه الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

موضوع الإيمان موضوعٌ خطير يحدد مصير الإنسان :

أيها الأخوة الكرام، لا زلنا في موضوعٍ يتصل أشد الاتصال بـ: "سبل الوصول وعلامات القبول" ألا وهو "الفرار إلى الله".

ورد في الأثر:

((أن شمروا فإن الأمر جد))



هناك موضوعات توصف بأنها مصيرية أي أنها تحدد مصير الإنسان، موضوع الدين، موضوع الإيمان، موضوعٌ مصيري، هناك موضوعات لا تقدم ولا تؤخر، هناك موضوعات ليس لها أثر مستقبلي، بينما موضوع الإيمان وموضوع الدين موضوعٌ خطير، هذا الموضوع يحدد ما إذا كان مصير الإنسان في جنةٌ يدوم نعيمها أو في نارٍ لا ينفذ عذابها لذلك:

((أن شمروا فإن الأمر جد))

أحياناً الإنسان لا سمح الله ولا قدر يكتشف ورماً، يحلل فإذا هو ورمٌ خبيث، آلاف الموضوعات الثانوية يهملها، يبحث عن علاج، ماذا يفعل؟ يأخذ دواء كيماوياً، يجري عملية استئصال، هذا الموضوع يحدد مصيره وقد ينتهي به إلى الموت.

هناك موضوعات لا تقدم ولا تؤخر، وموضوعات مصيرية، فموضوع الإيمان موضوع مصيري.

((أن شمروا فإن الأمر جد، وتأهبوا فإن السفر قريب))

الإنسان يفصله عن القبر ثانية، بينما هو ملء السمع والبصر إذا هو خبر تحت أطباق الثرى، فلذلك:

((أن شمروا فإن الأمر جد، وتأهبوا فإن السفر قريب، وتزودوا فإن السفر بعيد))

كلما طال السفر فإن السفر بعيد، كلما طال السفر كبرت الحاجات التي يحتاجها لهذا السفر البعيد.

((واخلصوا النية فإن الناقد بصير))

أي:

﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾

[سورة الحاقة]

أنت أمام الله مكشوف، لك أن تخدع بعض الناس لكل الوقت، ولك أن تخدع كل الناس لبعض الوقت، أما أن تخدع كل الناس لكل الوقت فهذا من سابع المستحيلات، أما أن تخدع الله أو أن تخدع نفسك لثانية واحدة فهذا مستحيل!.

﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴾

[سورة القيامة]

لذلك :

((اخلصوا النية فإن الناقد بصير، وخففوا الأثقال فإن في الطريق عقبةً كؤود لا يجتازها إلا المُخِفون))

[ورد في الأثر]

يا أبا ذر جدد السفينة فإن البحر عميق.

الفرار إلى الله قمع الفتنة و محاصرة المعصية :

أيها الأخوة الكرام، ينبغي أن نجدد إيماننا، الفتن كثيرة، نحن في عصر ما أكثر الصوارف عن الدين، وما أكثر العقبات التي تقف بينك وبين الدين، عقباتٌ لا تعد ولا تحصى، وصوارف لا تعد ولا تحصى.

((يأتي على الناس زمان، الصابر فيه على دِينه، كالقابض على الجمر))

[أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك]



لذلك أيها الأخوة مرة ثانية: الفرار إلى الله أن تقمع الفتنة، أن تحاصر المعصية، أن تسد كل الطرق المؤدية إلى النار، أن تجفف ينابيع المعصية والآثام.

فلذلك النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام البخاري من حديث النعمان ابن البشير رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((مَثَلُ القَائِمِ في حُدُودِ اللَّه والْوَاقِعِ فيها، كَمثل قَومٍ اسْتَهَموا على سَفِينَةٍ فَأَصابَ بَعْضُهم أعْلاهَا، وبعضُهم أَسْفَلَهَا، فكان الذي في أَسفلها إذا استَقَوْا من الماء مَرُّوا على مَنْ فَوقَهمْ، فقالوا: لو أنا خَرَقْنا في نَصِيبِنَا خَرقا ولَمْ نُؤذِ مَنْ فَوقَنا))

[أخرجه البخاري والترمذي عن النعمان بن بشير]

يقول عليه الصلاة و السلام:

((فإن تَرَكُوهُمْ وما أَرَادوا هَلَكوا وهلكوا جَميعا، وإنْ أخذُوا على أيديِهمْ نَجَوْا ونَجَوْا جَميعا))

[أخرجه البخاري والترمذي عن النعمان بن بشير]

نحن في قاربٍ واحد، فإن لم تبادر إلى إنكار المنكر فنحن هلكى جميعاً.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علة خيرية هذه الأمة :

أيها الأخوة، لذلك يعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في موضوع الفرار إلى الله موضوعاً أساسياً في هذا الشأن، شأن الفرار إلى الله عز وجل.

فلذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الفريضة السادسة إن صحّ أن في الإسلام فريضةً سادسة فهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولأن علة خيرية هذه الأمة هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.



﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

[سورة آل عمران الآية: 110]

أيها الأخوة، فإن لم نأمر بالمعروف ولم ننهَ عن المنكر فقدنا خيريتنا، وأصبحنا أمةً كأية أمةٍ شردت عن الله عز وجل، وهذا معنى قوله تعالى يخاطب الله الذين ادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه، ردّ الله عليهم فقال:

﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ ﴾

[سورة المائدة الآية: 18]

أي لا شأن لكم عند الله، لذلك اضطر العلماء إلى تقسيم أمة رسول الله إلى أمتين؛ أمة الاستجابة التي استجابت لله وللرسول من أجل أن تحيا حياة الإيمان، هذه الأمة هي المعنية بقوله تعالى:

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

وأمة التبليغ هي الأمة التي لا وزن لها عند الله عز و جل، شأنها كشأن أية أمة

﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ ﴾

أمانة العلماء أمانة التبيين وأمانة الأمراء أمانة التغيير :

لذلك أيها الأخوة، الحديث الذي يعد في أعلى مراتب الصحة:

((من رأى منكم منكراً فلْيُغَيِّرِه بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان))

[أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي سعيد الخدري]



إن صحّ أن هناك أُمراء وعلماء، العلماء مهمتهم إنكار المنكر بألسنتهم، هذه أمانتهم أمانة التبيين، والأمراء مهمتهم أن ينكروا المنكر بالقوة، وهذه أمانة الولاية.

ماذا تفعل إذا جاءك الناس بسارقٍ أو ناهب؟ سيدنا عمر سأل أحد الولاة، قال: أقطع يده، قال: إذاً فإن جاءني من رعيتك من هو جائعٌ أو عاطل فسأقطع يدك، إن الله قد استخلفنا عن خلقه لنسد جوعتهم، ونستر عورتهم، ونوفر لهم حرفتهم، فإن وفينا لهم ذلك تقاضيناهم شكرها، إن هذه الأيدي خلقت لتعمل، فإذا لم تجد في الطاعة عملاً التمست في المعصية أعمالاً، فاشغلها في الطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية.

لذلك أمانة العلماء أمانة التبيين، إنكار المنكر باللسان، وأمانة الأمراء أمانة التغيير باليد، لأن الله أعطاهم قوةً، ومن أدق ما قاله الإمام الشافعي في قوله تعالى:

﴿أَ طِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾

[سورة النساء الآية: 59]

من هم أولو الأمر؟ قال: هم العلماء والأمراء معاً، العلماء يعلمون الأمر والأمراء ينفذون الأمر، لذلك:

((من رأى أمراً منكراً فلْيُغَيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان))

[مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري]

من أمر بمعروف فليكن أمره بالمعروف ومن نهى عن منكر فليكن نهيه من دون منكر:

إلا أن العلماء قالوا: لا يقبل أن تغير المنكر بلسانك إن كنت قادراً أن تغيره بيدك، كما أنه لا يقبل أن تنكر المنكر بقلبك إذا كنت قادراً أن تغيره بلسانك، من هنا استنبط العلماء أنك إذا أمرت بالمعروف فليكن أمرك بالمعروف، وإذا نهيت عن المنكر فليكن نهيك من دون منكر.

أحياناً الإنسان من ضعف حكمته ينكر منكراً فينشأ من إنكار هذا المنكر منكراً أشد خطراً على المجموع من المنكر الذي أنكره، طريقة إنكار المنكر قد تسبب منكراً أشد، فلابد من أخذ الحكمة.



لذلك في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه و سلم قال:

((مَا مِنْ نبيٍّ بعثَهُ اللهُ في أمَّةٍ قَبْلي، إلا كانَ له من أمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وأصحابٌ يأخذون بسُنَّتِه، ويقتدون بأمره، ثم إنَّها تَخْلُفُ من بعدهم خُلوف))

[أخرجه مسلم عن عبد الله بن مسعود]

الخلوف هي جمع خلف من يأتي بعدهم.

((ثم إنَّها تَخْلُفُ من بعدهم خُلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جَاهَدَهُم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن))

[أخرجه مسلم عن عبد الله بن مسعود]

الآن دققوا.

((لَيس وراءَ ذلك من الإيمان حَبَّةُ خَرْدَل))

[أخرجه مسلم عن عبد الله بن مسعود]

أي إن لم تنكر بقلبك، وإن لم تنكر بلسانك، وإن لم تنكر بيدك، اعلم علم اليقين أنه ليس في قلبك ذرة إيمان، الحديث خطير جداً.

((مَا مِنْ نبيٍّ بعثَهُ اللهُ في أمَّةٍ قَبْلي، إلا كانَ له من أمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وأصحابٌ يأخذون بسُنَّتِه، ويقتدون بأمره، ثم إنَّها تَخْلُفُ من بعدهم خُلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جَاهَدَهُم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، لَيس وراءَ ذلك من الإيمان حَبَّةُ خَرْدَل))

[أخرجه مسلم عن عبد الله بن مسعود]

لذلك قالوا: من غاب عن معصيةٍ فلم ينكرها، ومن شهد معصيةٍ فلم ينكرها، فهو في ورطةٍ كبيرة، أي إذا قيل لك: في بلادٍ بعيدة هناك تبادل زوجات، مثلاً قلت: والله شيء ممتع مثلاً، هذا المنكر البعيد يبعد عنك آلاف الكيلومترات إذا أقررته كأنك شهدته، ومن شهد معصيةً فأنكرها كان كمن غاب عنها، كلام دقيق، إذا غبت عن معصيةٍ فلم تنكرها كأنك قد شهدتها، وإذا أنكرت معصيةً كنت كمن غاب عنها، فلابد من إنكار المنكر.

أضعف الإيمان أن ينكر الإنسان المنكر بقلبه :

أيها الأخوة، أضعف الإيمان أن تنكر بقلبك، لكن هناك حالة أنا أسميها السلبية المدمرة، إنه مالي ومال الناس، لهم ربٌ يحاسبهم، لذلك الله عز وجل حينما أرسل الملائكة ليهلكوا قوماً قالوا:

((إن فيها عبدك فلان لم يعصك طرفة عين؟ قال: اقلبها عليه وعليهم فإن وجهه لم يتمعر في ساعة قط))

[أخرجه الطبراني عن جابر بن عبد الله]

اعلم علم اليقين إن لم تنكر المنكر فأنت في ورطة كبيرة جداً ولو بقلبك.

حينما يكف المسلمون عن إنكار المنكر يعمهمُ الله تعالى بالعقاب الشديد :

أيها الأخوة، هناك من يفهم هذه الآية فهماً ما أراده الله، يقول لك أحدهم:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

[سورة المائدة]



سيدنا الصديق، أو سيدنا صديق هذه الأمة أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه خاف من هذه السلبية القاتلة من منطلق فهمٍ مغلوط ومقلوب لهذه الآية، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

((أيُّها الناس، إنكم تقرؤونَ هذه الآية وتَضَعونَها على غير موضِعِها، وإني سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من قوم يُعْمَلُ فيهم بالمعاصي، ثُمَّ يَقْدِرُونَ على أنْ يُغَيِّرُوا ولا يغيرون، إلا يوشِكُ أن يَعُمَّهُم الله بعقاب))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي بكر الصديق]

وهذا حال معظم المسلمين، أي لا أحد يكلف نفسه أن ينكر منكراً، تأتي ابنة أخيه شابة في ريعان الشباب متفلتة في ثيابها، كل مفاتنها ظاهرة، فالعم يرحب بها، ويثني على جمالها، وعلى شبابها، ويسألها عن

دراستها، وكأنها لا تفعل شيئاً، فحينما يكف المسلمون عن إنكار المنكر يعمهمُ الله بالعقاب، أنا أقول لكم: حينما قال عليه الصلاة و السلام:

((كيف بكم أيها الناس إذا طغى نساؤكم وفسق فتيانكم؟ قالوا : يا رسول الله إن هذا لكائن؟ قال: نعم وأشد منه كيف بكم إذا تركتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قالوا: يا رسول الله إن هذا لكائن؟ قال: نعم وأشد منه كيف بكم إذا رأيتم المنكر معروفاً والمعروف منكراً؟))

[أخرجه أبو يعلى والطبراني عن أبي هريرة]

نحن في عصر تبدل القيم، الذي ينفق ماله في سبيل الله يُتهم بالجنون، والذي ينصح الأقوياء يُتهم بالحمق، المنافق اسمه لبق، والفتاة المتفلتة لها اسم حديث سبور مثلاً، والكذب لباقة، والنفاق مرونة، فكل هذه القيم تبدلت، لذلك أهجى بيتٍ قالته العرب:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

* * *

هذا البيت أصبح شعار معظم الناس:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

* * *

حينما تفقد الأمة خيريتها يتحقق الهلاك و الدمار :

في الصحيحين من حديث زينب رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه و سلم دخل يوماً عليها فزعاً، النبي الكريم دخل عليها فزعاً، وفي روايةٍ استيقظ يوماً من نومه فزعاً يقول:

((لا إله إلا الله، ويَلٌ لِلْعَرَبِ من شَرّ قد اقْتَرَب، فُتِحَ اليوم من رَدْم يأجوجَ ومأجوجَ مثلُ هذه وحَلَّقَ بأصْبَعِهِ: الإبهام والتي تَليها فقالت زينب بنتُ جَحْشٍ: فقلت: يا رسول الله أَنَهْلِكُ وفينا الصالحون؟ قال: نعم ، إذا كَثُرَ الْخَبَثُ))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن زينب بنت جحش أم المؤمنين]



حينما تكف الأمة عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حينما تفقد الأمة خيريتها أو تفقد علة خيريتها يتحقق الهلاك، فهل في تاريخ هذه الأمة من ظرفٍ عصيب، من محنة قاسية، من عدوان، من احتلال، من قهر، من إذلال كهذه الحقبة؟.

((ويَلٌ لِلْعَرَبِ من شَرٍ قد اقترب، أَنَهْلِكُ وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كَثُرَ الْخَبَثُ))

أخواننا الكرام، الإمام مالك في موطئه أفرد باباً بعنوان باب ما جاء في عذاب العامة بعمل الخاصة، فقد روى الإمام أحمد في مسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((إن الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة))

[أخرجه الطبراني والإمام عن عدي بن عميرة الكندي]

وهذا معنى قوله تعالى:

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾

[سورة الأنفال الآية: 25]

هناك فهم غير دقيق لهذه الآية، يقول لك: الرحمة خاصة والبلاء يعم، والحقيقة الرحمة خاصة والبلاء خاص، أما حينما عمّ البلاء بمعنى أن العامة لم تنكر على الخاصة فعدم إنكار المنكر ذنبٌ كبير.

من يتبع هدى الله عز وجل لا يضل عقله ولا تشقى نفسه :

أيها الأخوة، العالم الغربي عاش الإباحية، عاش التفلت، عاش الانحراف، عاش تصيد اللذة من أي طريق، هذا العالم الغربي وقع في هذا الانحراف الخطير، المشكلة الخطيرة أنه يريد أن يعمم هذه الحالة المرضية على العالم الإسلامي، هنا المشكلة.



لذلك بعض المؤتمرات مؤتمرات السكان التي تلزم العالم الثالث بنمطٍ إباحي حينما عدوا الزواج أنواعاً ثلاث: زواج مثلي ذكر مع ذكر، وزواج مثلي أنثى مع أنثى، وزواج تقليدي ذكر مع أنثى، حينما جعلوا مفهوم الزواج مفهوماً انحرافياً إباحياً، هذا مما يفعله العالم الغربي في عالم المسلمين.

أيها الأخوة:

﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً ﴾

[سورة طه الآية: 123]

سيدنا آدم وحواء:

﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى ﴾

[سورة طه الآية: 123]

الآن دققوا:

﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾

[سورة طه الآية: 123]

لا يضل عقله ولا تشقى نفسه.

﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

[سورة البقرة]

اجمع الآيتين: من يتبع هدى الله عز وجل لا يضل عقله، ولا تشقى نفسه، ولا يندم على ما فات، ولا يخشى مما هو آت.

ضيق القلب شأن من لا يذكر الله عز وجل :



ماذا بقي من سعادة الدنيا والآخرة؟.

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً ﴾

[سورة طه الآية: 124]

بعضهم قال: ما شأن الملوك والبلاد كلها في ملكهم؟ ما شأن الأغنياء الذين يملكون المليارات الممليرة بهذه الآية؟ فأجاب بعض المفسرين: ضيق القلب، قد تجمع ثروة أهل الأرض، وقد تعتلي أعلى منصباً في الأرض إن لم تكن ذاكراً لله.

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾

[سورة طه]

في قلب المؤمن من السعادة والطمأنينة ما لو وزع على أهل بلدٍ لكفاهم :



أحد كبار العلماء العارفين بالله إبراهيم بن الأدهم المدفون بجبلة، هذا كان ملكاً فترك الملك، وقال هذه المقولة: لو يعلم الملوك ما نحن عليه لقاتلونا عليها بالسيوف.

بقلب المؤمن من السعادة، من الطمأنينة، من الراحة النفسية، من الرضا، ما لو وزع على أهل بلدٍ لكفاهم.

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾

[سورة طه]

أيها الأخوة الكرام، الفرار إلى الله ألصق موضوعٍ بسبل الوصول وعلامات القبول، ومن لوازم الفرار إلى الله أن تقمع الفتنة، أن يضيق على أهل المعصية، وإلا عمّ البلاء أهل الأرض، وعمّ البلاء المسلمين خاصة.

3.2 قمع الفتن2

بسم اللـه الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ الصادق الوعد الأمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مشكلة المسلمين الأولى في هذه الأيام:



أيها الأخوة الكرام، مع الدرس التاسع من دروس سورة الأنفال، ومع الآية الخامسة والعشرين، وما بعدها، الله عز وجل يقول:

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

بادئ ذي بدء: الفتن مهلكة لكن هذه الفتن إذا وقعت ووقف الناس سلبيين تجاهها لم يعبؤوا، لم يأمروا بالمعروف، لم ينهوا عن المنكر، لم يقيموا شرع الله، هذه الفتن تستشري وتتفاقم، وقد تصبح بلاءً كبيراً، وقد تصبح فساداً عريضاً في المجتمع، فالله عز وجل يحذر المجموع.

كما لو احترق بيت في أول الشارع، فالذي يجلس في آخر الشارع يقول: الحريق بعيد عني، إن لم يسارع هذا الذي في آخر الشارع ليساهم في إطفاء الحريق وصل إليه.

هذه مشكلة المسلمين حينما تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، استشرى المنكر، واتسع، واتسعت دوائره، حتى ضاقت دوائر الباطل.

الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر علة خيرية هذه الأمة:

فلذلك حينما قال الله عز وجل يخاطب هذه الأمة:

﴿ كُنْتُمْ ﴾

أي أصبحتم:

﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾



علة خيرية الأمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

علة خيريتكم:

﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

(سورة آل عمران الآية: 110).

حينما تكف الأمة عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تصبح لا شأن لها عند الله:

وحينما تكف الأمة عن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، حينما ترى الفتنة فتسكت، حينما ترى المعصية تتجاهلها، حينما ترى كبيراً أو قوياً فعل شيئاً منكراً لاذت بالصمت، حينما تكف الأمة عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تصبح أمة لا شأن لها عند الله إطلاقاً، والدليل أن الله سبحانه وتعالى خاطب الذين قالوا:

﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾

خاطبهم فقال:



﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾

(سورة المائدة الآية: 18).

والأمة الإسلامية حينما ترى المنكر، فلا تنهى عنه، حينما ترى المعروف فلا تأمر به، حينما تصمت، حينما ينسحب المسلم من علة خيرية أمته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تصبح هذه الأمة لا شأن لها عند الله إطلاقاً، والدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحاح حينما قال:

((كيف بكم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر ؟ قالوا: أو كائن يا رسول الله ؟ قال: نعم وأشد منه سيكون . عجب الصحابة . كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف . صعقوا صعقة أشد . قالوا: أو كائن ذلك يا رسول الله ؟ قال: وأشد منه سيكون، قالوا: وما أشد منه ؟ قال: كيف بكم إذا أصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً ؟))

[أخرجه زيادات رزين عن علي بن أبي طالب] .

عندئذٍ تودع هذه الأمة، حينما يكون المنكر أمام المسلمين، ولا أحد يتكلم، هذه الأمة انتهت عند الله عز وجل.

الانسحاب من مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يسبب ضياع هذه الأمة:

لذلك:

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾

الفتنة وقعت، التفلت حصل، الانحراف استشرى، المعصية ترتكب، المنكر يُفعل، التحدي يكون، كتابات، حركات، أعمال كلها تغضب الله عز وجل والأمة ساكتة، هذه الأمة انتهت عند الله.

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾

الانسحاب من مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يسبب ضياع الأمة

ورد في بعض الأحاديث: " أن الله سبحانه وتعالى أرسل ملائكته ليهلكوا قرية، فقالوا: يا رب إن فيها صالحاً، قال: فيه فابدؤوا، قالوا: لِمَ يا رب ؟ قال: لأنه لم يكن يتعمر وجهه حينما يرى منكراً ". لمجرد أن تقول ما لي ولهذا ؟ ما لي ولهذه المعصية ؟ أنت بعيد عنها، هذا الموقف الانعزالي، الانسحاب من مهمة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، يسبب ضياع هذه الأمة.

الأمة أمتان ؛ أمة الاستجابة و أمة التبليغ:

لذلك: الأمة الآن أمتان ؛ أمة الاستجابة، وأمة التبليغ، فالأمة التي لم تستجب لله ورسوله في تطبيق منهج الله ورسوله هذه أمة ليست خير أمة، بل هي أمة كأية أمة شردت عن الله عز وجل،

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾



علة الخيرية

﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

هذه علة خيريتنا.

فلذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكاد أن يكون الفريضة السادسة، وجرب أنك حينما تنطق بالحق لعل الآخر يرجع إلى الله، لعل

الآخر يبتعد عن هذه المعصية، عليك أن تُذكر، وليس عليك الباقي.

أيها الأخوة، إذاً أي خطأ، للتقريب: تأتي إلى بيتك ابنة أخيك، ترتدي ثياباً فاضحة جداً، تستقبلها، ترحب بها، تثني على جمالها، وعلى أناقتها، ولم تتكلم بكلمة واحدة عن هذا التفلت في ثيابها، من هنا نبدأ، حينما ترى شريكك يغش في البيع والشراء وأنت ساكت، من هنا بدأ الخطأ، أما حينما تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ولا ترضى للخطأ أن تسكت عليه عندئذٍ تكون هذه الأمة على منهج صحيح.

أية فتنة تقع حولك إن بقيت ساكتاً عنها سوف تصل إليك:



﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾

عندئذٍ هذه الفتنة تنتشر وتنتشر، حتى تصل إليك، أنت أيها العم حينما لم تنصح ابنة أخيك أن ترتدي ثياباً إسلامية ساترةً محتشمة، ما الذي يحصل ؟

ابنتك في البيت تضغط على أمها كي تقلد ابنة عمها، حينما لم تأمر بالمعروف، ولم تنهَ عن المنكر وصلت الفتنة إلى بيتك، كالنار تماماً إن لم تخرج من بيتك، وتسهم في إطفاء النار وصلت النار إليك.

لذلك قصة مشهورة مألوفة أن ثيراناً ثلاثة، أبيض، وأسود، وأحمر، جاء الوحش المفترس فأكل الأبيض، فقال الأحمر: أنا لا علاقة لي، لم يقترب مني، فسكت، ثم توجهه هذا الوحش المفترس إلى الأحمر فأكله، فقال الأخير: أنا لا علاقة لي، فلما توجه إلى الأسود ليأكله قال: أُكلت يوم أُكل الثور الأبيض، من وقتها أُكلت أنا.

اعتقد بهذا يقيناً، أية فتنة تقع حولك إن بقيت ساكتاً سوف تصل إليك، في أي شيء، أما إذا وجد أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، و وضع حد للفتنة، و قُمعت الفتنة، عاش الناس بسلام.

الابتعاد عن المجاملات في حياتنا :

ما الذي يحصل الآن ؟ كل المعاصي والآثام في الطريق، وفي الأماكن العامة، وفي الأسواق وفي الجامعات، تفلت، وانحراف، وكأن هذه الأمة ليست أمة المسلمين، لأن الناس كفوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.



والله سمعت قصة عن سائق سيارة وقد يكون أمياً، جاءه راكبان زوج وزوجته . أعتقد من بيروت إلى دمشق . فطلبا منه أن ينتظر ربع ساعة كي تأتي حقيبتهم، فانتظر، جاء شيخ في السبعين يحمل حقيبة على رأسه، هذا الشاب وكزه في رأسه، قال له: لماذا تأخرت ؟ السائق لم ينتبه، أخذ المحفظة ووضعها في الصندوق وانطلقا إلى الشام، أعتقد في نصف الطريق سمع الزوجة تقول لزوجها: كيف تضرب أباك ؟ فوراً أوقف المركبة قال له: انزل، وهذه الأجرة، أنا لو بقيتم معي لعلي أقع بحادث، على بساطته، على معلوماته المتواضعة، لم سمح لإنسان يضرب أباه أن يركب بمركبته، فهذا درس، لو كل الناس فعلوا هذا لكنا في غير هذه الحال.

أحياناً إنسان يسب الذات الإلهية، لا أحد يتكلم ولا كلمة، كله ساكت، يعيد السُباب مرة ثانية، وثالثة، الأمة التي تسكت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودعها، انتهت عند الله عز وجل، حياتنا كلها مجاملات، تزور إنساناً كل المعاصي في بيته، وتحترمه أمام أولادك، وتثني على ذكائه، وعلى حكمته، وعلى روعته، وعلى حديثه، وهو يرتكب المعاصي كلها، ضاع أولادك.

((إن الله عز وجل يغضب إذا مُدِحَ الفاسق))

[أخرجه أبو يعلى عن أنس بن مالك].

حياتنا مجاملات.

لذلك:

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾

الصالح و المصلح:



لذلك الله عز وجل قال:

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾

(سورة هود).

ما قال: صالحون، الصالح يهلك، أما المصلح لا يهلك، المصلح خرج من ذاته لإسداء النصيحة لغيره، أي أحياناً البنت تنحرف بثيابها، والكل ساكت، تجد بعد فترة البنت المحجبة تريد أن تلغي حجابها، بعد فترة البنت المحجبة الثانية كذلك، لأنه حينما تفلتت البنت الأولى والكل يسكت، طبعاً هذه الفتنة تمشي، فجأة تجد كل الأطراف يريدون هذا الانحراف.

أنا أضرب أمثلة محدودة، لأنه هناك آلاف الأمثلة، في البيع والشراء أحياناً هناك طريقة في الغش، فيحدثك التاجر أنه عمل أرباحاً طائلة عن طريق تبديل اسم السلعة، عن طريق تبديل صفاتها، عن طريق التعريف ببلد المنشأ، أنت تثني على ذكائه، وعلى شطارته، هذا حرام، حرام أن توهم الناس أن هذه البضاعة من هذا المنشأ وهي من منشأ أقل.

كل إنسان محسوب على المؤمنين فعليه إسداء النصيحة للآخرين:



فكلما جاملنا أنفسنا، وسكتنا عن إحقاق الحق، وعن إبطال الباطل انتهت هذه الأمة، صدق ولا أبالغ، لا يوجد بالألف واحد ينصح، الكل يجامل، الكل يتمنى السلامة، ليس مضطراً أن ينصح الآخرين مخافة أن يتسبب بمشكلة، ليس لي علاقة، ليس لك علاقة خسرت الله عز وجل.

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾

والله هذا العبد الفقير دخلت على أخ كريم، وهو من كبار التجار، و عنده سكرتيرة وضعها غير منطقي إطلاقاً، قلت: والله لا يجوز، أنت محسوب على المؤمنين، قال لي: والله لم يقل لي أحد هذا، فعلاً أعطاها أمراً بتغيير وضعها، فإن لم تستجب صرفها، انصح، تكلم، قدم ملاحظة، لا تريد أن تتكلم ولا كلمة ؟ ولا تعليق ؟ مديح، مديح، مديح.

((إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب))

[أخرجه الطبراني عن عطاء بن أبي رباح].



أحياناً إنسان منحرف تمدحه، تمدحه، تمدحه، إلى متى تمدحه ؟ لا داع لهذا، إنسان عنده مسبح مختلط، عمل فيه مولداً، جاء الخطباء ومدحوه، كيف تمدحه ؟ مسبح مختلط، يرتكب فيه أكبر المعاصي وتمدحه أيضاً ؟.

((المداحين فاحثوا في وجوههم التراب))

[أخرجه الطبراني عن عطاء بن أبي رباح].

يجب أن تقول: لا في الوقت المناسب، أما الكل يخطئ والكل ساكت، الكل ينحرف والكل ساكت، الكل يتمادى والكل ساكت، المرأة تكاد تظهر عارية في

الطريق والكل ساكت وأمها محجبة تمشي إلى جانبها، كيف سمحتِ لها أن تمشي معك بهذا الوضع ؟ ألست أمها ؟ أين تربيتك لها ؟ كله ساكت، فهذا الوضع سبب أن مليار وخمسمئة مليون لا وزن لهم عند الله.

((ولن يُغْلَبَ اثنا عَشَرَ ألفا مِنْ قِلَّةٍ))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عباس]

مليار ونصف، ربع سكان الأرض، أي كل أربعة أشخاص شخص مسلم، مليار وخمسمئة مليون لا وزن لهم عند الله، لأن هذه الأمة تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو الفريضة السادسة.

لا شيء يعين الظالم على ظلمه كسكوت المظلوم:

فلذلك:

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾

تصيب الكل، أوضح مثل احتراق البيت، إن لم تساهم وأنت في آخر الشارع في إطفاء الحريق، الحريق سوف يصل إليك.



لا شيء يعين الظالم على ظلمه كسكوت المظلوم

هناك سؤال: الذين ظلموا تصيبهم عقابيل الفتنة، فما بال الذين لم يظلموا ؟ الذين لم يظلموا هم ظلموا في طريقة أخرى، ظلموا حينما سكتوا، لذلك لا شيء يعين الظالم على ظلمه كسكوت المظلوم، لا تسكت، تكلم،

وضح، بيّن، ما دام في نصيحة، ما دام في موقف فالإنسان يفكر، هناك من يحاسبني، هناك من يرفض طلبي، أما كل ما يقوله القوي يطاع مع الانبطاح، انتهت الأمة كلها.

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾

من أقام أمر الله في بيته و عمله لا شيء عليه:

أيها الأخوة، لو ضربنا أمثلة من الأسرة، يأتي الابن الساعة الثانية ليلاً، أين كنت ؟ عند رفيقي، سكت الأب، أكيد عند رفيقك ؟ من رفيقك ؟ رقم تلفونه، عندما تتابعه إن كان بمكان غير جيد في المرة الثانية يفكر كيف أواجه والدي ؟ أما إن قال له عند رفيقي ولم يتكلم ولا كلمة سيختلف الأمر، والله هناك قصص بالأسر لا تعد و لا تحصى، انحراف خطير إلى درجة الفحش، بنت لمدة ثلاث سنوات تقع في الفاحشة والأب لا يعلم ؟! كانت عند رفيقتها، رفيقتها بالجامعة تدرس معها، الفتنة إن لم تقمع تستشري.



من أقام أمر الله في بيته و عمله لا شيء عليه

نحن نقول: عندك مملكتان أنت محاسب عليهما، بيتك وعملك، ولست مكلفاً فوق ذلك مبدئياً، مكان المحاسبة أنت تحاسب في الدائرة التي أوكلت إليك، في بيتك معصية، في بيتك تفلت، هناك سهرة مختلطة، أجهزة لا ترضي الله، لقاءات لا ترضي الله، أنت محاسب عن بيتك أولاً، فما لم تكن ضابطاً لأمورك، متابعاً لتفاصيل

ما يجري في البيت، فأنت محاسب عند الله، أنت محاسب على مملكتين مملكة بيتك، ومملكة عملك، ما فوق ذلك لك أن تنصح، لكن لست محاسباً.

لو فرضاً أنت بشركة، والمدير العام له شروط بخطأ، يمكن أن تنصحه بطريقة لبقة، لكن أكثر من ذلك غير مكلف، أما ببيتك لا يوجد نصيحة، لا بدّ من أن تقيم أمر الله في بيتك، وفي عملك، فإذا أقمت أمر الله في عملك وفي بيتك لا شيء عليك.

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾

والذي يحصل أن كل الانحرافات تبدأ في بيت واحد، وتنتقل إلى بيت، إلى بيت، بعد حين هذه المعصية وجدت في كل البيوت، انحراف في ثياب الفتاة، من بيت واحد، وبعد ذلك هذا الانحراف انتشر في كل البيوت، وهكذا، أما المؤمن يضع حداً لأية فتنة قد تنتشر:

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾

الأمة كلها في قارب واحد:

يقول عليه الصلاة والسلام:

((إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أو قال: المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب))

[أخرجه النسائي وأبو يعلى وابن حبان عن أبي بكر الصديق].



سبحان الله، من أروع الأمثلة التي ضربها النبي عليه الصلاة والسلام أن قوماً في سفينة، استهموا فيها، أي توزعوا أماكنهم، فأناس في علوها، وأناس في أسفلها، فالذين في أسفلها أرادوا أن يختصروا الطريق بجلب الماء من النهر بأن يثقبوا ثقباً في مكانه، فإن أخذ الآخرين على أيديهم نجوا جميعاً، وإن تركوهم هلكوا جميعاً، وصدقوا ولا أبالغ ما من مثل أبلغ من أننا جميعاً في قارب واحد، الأمة كلها في قارب واحد، فأي ثقب في هذا القارب إن لم نسارع جميعاً لإغلاقه غرقنا

جميعاً، هذا المثل من عند النبي عليه الصلاة والسلام، قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أننا خرقنا نصيباً من نصيبنا فلا نؤذي من فوقنا، والنية طيبة، قال: فإن تركوه، وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعاً.

إذاً على مستوى أسرة، الأسرة كلها في قارب واحد، على مستوى مؤسسة، مدرسة، جامعة، مستشفى، وزارة، الأمة كلها في قارب واحد، فإذا كان هناك انحراف والكل ساكتون غرقنا جميعاً، وإذا كان هناك انحراف وبعضنا ينصح بعضاً نجونا جميعاً، والله أحياناً قد لا تعلم أن كلمة الحق قد يكون لها أثر لا يوصف.

الحكمة من ضعف النبي الكريم أن يكون الإيمان به عظيماً:

أيها الأخوة، ثم يقول الله عز وجل:

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآَوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

(سورة الأنفال).



أي الصحابة الكرام في مكة كانوا ضعافاً، و كان النبي عليه الصلاة والسلام وهو سيد الخلق وحبيب الحق يمر على آل ياسر، وهم يعذبون، ولا يستطيع أن يفكهم، يقول لهم:

((صبراً يا آل ياسر فإن موعدكم الجنة))

[أخرجه الحاكم عن محمد بن إسحاق].

الصحابة دفعوا ثمناً باهظاً حينما أسلموا، ما سر أن النبي كان ضعيفاً ؟ لَمَ لم يكن قوياً كقوة الحكام ؟ لو أنه كان قوياً لأعطى أمراً فطبقه الكل، لكن لا عن إيمان، عن خوف، جعله الله ضعيفاً ليكون الإيمان به خالصاً لوجهه، ما عنده شيء.

﴿ لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا رَشَداً ﴾

(سورة الجن).

كل إنسان مع القوي يسعى لإرضائه طمعاً فيما عنده، ويتقي أن يعصيه خوفاً منه، فعلاقتك مع القوي علاقة نفع أو خوف فقط، طمع أو خوف، أما علاقتك مع النبي الضعيف علاقة إيمان، إيمان فقط، ضعيف،

﴿ لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا رَشَداً ﴾

أبلغ من ذلك:

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً ﴾

(سورة الأعراف الآية: 188).

﴿ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾

(سورة الأنعام الآية: 50).

﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾

(سورة الزمر).

نبي، سيد الخلق، حبيب الحق، سيد ولد آدم، في الطائف ضُرب، لماذا جعله الله ضعيفاً ؟ ليكون الإيمان به عظيماً.

من عبد الله عز وجل بحقٍّ في زمن الفتن و الضلالات فله أجر كبير:



الآن: إذا عُرف الإنسان أنه متدين، فبالعالم كله غير مقبول، يخافون منه، إرهابي، مع أنه إنسان مسالم، وديع، لطيف، رحيم، منضبط، مخلص، يتفانى في عمله، كل هذه الصفات الرائعة لأن له مسحة دينية، هو متهم في نظرهم، العالم كله يحترم المتفلتين، يحترم العصاة، يحترم من يتحدون السماء، يحترم من يكفرون بالله عز وجل، والمؤمن يخافون منه، يصنفونه تصنيفاً معيناً، فأنت حينما تريد أن تكون مؤمناً في هذا الزمان لك أجر كبير.

((اشتقت لأحبابي، قالوا: أولسنا أحبابك ؟ قال: لا أنتم أصحابي، أحبابي أناس يأتون في آخر الزمان، القابض منهم على دينه كالقابض على الجمر، أجرهم كأجر سبعين قالوا: منا أم منهم ؟ قال: بل منكم، لأنكم تجدون على الخير معواناً ولا يجدون))

[ورد في الأثر].

أينما تحركت، المعصية مقبولة والطاعة معها حرج.



فيا أيها الأخوة، أبشروا، ما دمت في هذا الزمان الصعب، لا تنسى قول النبي الكريم فيما يرويه عن ربه:

((وإِنَّ العِبادَةَ في الهَرْج كهجرة إلي))

[أخرجه الترمذي عن أبي هريرة].

عبادة في الهرج، أي في زمن الفتن، في زمن النساء الكاسيات العاريات، في زمن التهجم على الإسلام، وعلى نبي الإسلام، وعلى كتاب الإسلام، كان التهجم على التفاصيل، الآن على الرموز الكبيرة.

رسام الدنمارك شوه صورة النبي عليه الصلاة والسلام، المصحف دُنس في بلاد بعيدة، دُنس والعالم ساكت، فأنت حينما تعبد الله في زمن الفتن، في زمن الضلالات، في زمن يوم يذوب قلب المؤمن في جوفه مما يرى ولا يستطيع أن يغير، إن تكلم قتلوه، وإن سكت استباحوه، و قد ورد في بعض الآثار: " موت كعقاص الغنم، لا يدري القاتل لمَ يقتل، ولا المقتول فيمَ قُتل ؟ ".

دولة تعتدي على دولة إسلامية، تقتل منها مليونين، هناك مليون طفل مقتول، تشرد خمسة ملايين، ومع ذلك هي بنظرهم دولة محترمة، والعالم ينظر لها بإكبار، وإذا إنسان دافع عن حقه، أو قاوم المحتل يُتهم بأنه إرهابي، نحن بأي زمان ؟ نحن في أي زمان نعيش ؟!.

ارتباط الإيمان بالأمن و الطمأنينة:

فلذلك:

((وإِنَّ العِبادَةَ في الهَرْجِ كهجرة إلي))

[أخرجه الترمذي عن أبي هريرة].

يوم يذوب قلب المؤمن في جوفه مما يرى ولا يستطيع أن يغير، إن تكلم قتلوه، وإن سكت استباحوه، موت كعقاص الغنم، لا يدري القاتل لمَ يقتل، ولا المقتول فيمَ قُتل ؟.



نعمة الأمن والطمأنينة نعمة كبيرة لا يعرفها إلا من فقدها

اثنان ونصف مشرد في الباكستان، بلا طعام، بلا شراب، بلا مأوى، قتل باليوم مئة، مئتان، ثلاثمئة، كأن القتل وسام شرف، فنحن في زمن صعب، لذلك سلوا الله السلامة، وسلوا الله أن يديم على هذه البلاد الأمن والاستقرار، نحن في نعم كبيرة جداً، لا يعرفها إلا من فقدها.

قال لي أخ في العراق: أنا أودع زوجتي يومياً، احتمال موتي في الطريق 50%، يومياً يودع أولاده.

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً ﴾

(سورة النحل الآية: 112).

عندما يكون في إيمان يكون هناك أمن وطمأنينة.

على الإنسان ألا ينسى فضل الله عليه:

أيها الأخوة،

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآَوَاكُمْ ﴾

في المدينة، أسستم دولة، شكلتم جيشاً، حاربتم، انتصرتم، أصبحتم دولة كبيرة.

﴿ فَآَوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾



على الإنسان ألا ينسى فضل الله عليه

طبعاً هذه الآية واضحة، أما على إنسان مؤمن، كان لا يملك بيتاً، وليس له دخل ، ويعاني ما يعاني، فيسر الله له شراء بيت، و يسر له زواجاً ناجحاً، و يسر له أولاداً نجباء، وله مكانة محترمة، فعليه ألا ينسى الماضي، ذكرهم بنعم الله.

﴿ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ﴾

(سورة إبراهيم الآية: 5).

هذه الآية لمجموع الأمة.

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآَوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

وكل شخص منا يذكر كيف كان قبل حين، بحاجة، فقير، بلا عمل، بلا بيت، بلا زواج، بلا أولاد، الله أكرمك، كيف أكرمك بالزواج ؟ يقول: الله يسر لنا، كيف أكرمك بالعمل ؟ كيف نجح العمل معك، فكل ميزاتك الآن ألا تنسى أن هذا من فضل الله عليك.

على كل إنسان أن يكون في قلبه تعظيم لله و حب له و خوف منه:

لذلك:

((أحِبُّوا الله لما يَغْذوكم من نعمه))

[أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عباس].

((يا رب أي عبادك أحب إليك حتى أحبه بحبك ؟ قال: أحب عبادي إليّ تقي القلب نقي اليدين، لا يمشي إلى أحد بسوء، أحبني، وأحب من أحبني، وحببني إلى خلقي قال: يا رب إنك تعلم أني أحبك، وأحب من يحبك، فكيف أحببك إلى خلقك ؟ قال: ذكرهم بآلائي، ونعمائي، وبلائي، ذكرهم بآلائي كي يعظموني، وذكرهم بنعمائي كي يحبوني وذكرهم ببلائي كي يخافوني))

[من الدر المنثور عن ابن عباس].



معنى ذلك أنه لا بدّ من أن يكون في قلبك تعظيم لله من خلال آياته الكونية، وحب لله من خلال نعمه، وخوف من الله من خلال بلائه، جهاز في جسمك لو تعطل لأصبحت حياة الإنسان جحيماً لا يطاق.

هناك قناة دمعية، من العين إلى الأنف، أنفك رطب لأن الدمع الذي يزيد عن حاجة العين ينتقل عبر هذه القناة إلى الأنف، فالأنف رطب، حالات نادرة جداً تُسد هذه القناة فدائماً الدمع على خدك، بعدها يصبح هناك خط أحمر أي التهاب، هذه القناة لها دور كبير جداً، لو أن الرموش انخفضت، هناك مرض اسمه ارتخاء الجفون، كلما أردت أن ترى إنساناً يجب أن ترفع جفنك بيدك، هذه قليلة ؟

نعمة الجفون، نعمة العين، نعمة هذا المفصل، كيف تأكل لولا هذا المفصل ؟ والله هناك نعم بجسمك فقط لا تعد ولا تحصى، لو كان في الشعر أعصاب حس، إلى أين أنت ذاهب؟ ذاهب لأعمل عملية حلاقة بالمستشفى مع تخدير كامل، فالله عز وجل من فضله عليك أنه لم يجعل بالشعر أعصاب حس، ولا بالأظافر، و الحديث عن الجسم يطول.

هناك مثانة لولاها لوضع الإنسان فوطاً بشكل إجباري، كل عشرين ثانية هناك نقطة بول، يتجمعون كل خمس ساعات بالمثانة، لو لم يكن هناك مستودع لكانت مشكلة كبيرة، فكر بأجهزتك جهازاً جهازاً، أي جهاز تعطل تصبح حياة الإنسان جحيماً لا يطاق.

الله عز وجل إذا أعطى أدهش وإذا أخذ أدهش فإياك و التكبر:

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآَوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

أي الإله الذي نقلك من الأدنى إلى الأعلى هو قادر أن ينقلك من الأعلى إلى الأدنى، إذا أعطى أدهش، وإذا أخذ أدهش.

والله أعرف صديق صديقي درس بفرنسا، يحمل أعلى شهادة في الجيولوجيا، وصل إلى منصب معاون وزير، فقد بصره خلال شهر يأتون له بالمعاملات إلى البيت، بعد ذلك سرحوه، فعندما زاره صديقي، قال له: والله أتمنى أن أجلس على الرصيف، وأن أمد يدي للناس، ولا أملك من الدنيا إلا هذا المعطف، وأن يرد لي بصري، البصر نعمة كبيرة جداً.



الله إذا أعطى أدهش وإذا أخذ أدهش

فيا أيها الأخوة، اذكر كيف كنت وكيف أصبحت، إياك والتكبر، إياك أن تنسى الماضي،

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ ﴾

وهذا الخطاب لكل مؤمن، واذكر كيف كنت قبل خمسين عاماً، قبل ثلاثين عاماً، كنت لا شيء، الله أكرمك، أعانك، زوجك، أنجبت أولاداً، ربيتهم ، كل هذه النعم من فضل الله عز وجل عليك.

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآَوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

وفي درس آخر إن شاء الله نتابع هذه الآيات.

3.3 ماذا تفعل حيال الفتن؟

بسم اللـه الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

من يقبل سنة الله في خلقه يوطن نفسه على الصبر والعمل :

أيها الأخوة الكرام: لا زلنا تحت تأثير ما حدث مؤخراً، ولابد من بيان كلمة الحق، وأردت أن يكون هذا الدرس إن شاء الله تعالى تعريفاً بما ينبغي أن يفعله المسلم بعد هذه الأنباء المؤلمة التي سمعها في أحدث تطورات العدوان على إخوتنا في العراق.



أيها الأخوة: بعض أمراض المسلمين أن كل أفعالهم ردود فعل وليست فعلاً، هم أناس تحركهم الأحداث، ولا يحركون الأحداث، فنحن قد يقع عدوان نفكر بالجهاد، تقع مشكلة نفكر بحل، يأتينا استفزاز ندرس ماذا نفعل؟ الأصل أن الاستعداد ينبغي أن يكون مستمراً لأن معركة الحق مع الباطل معركة أزلية أبدية، وشاءت حكمة الله أن يصطرع الحق و الباطل، وكان من الممكن ألا يصطرعا، وأن يحجز الله أهل الإيمان عن أهل الكفر، ولكن لحكمة بالغة بالغة أرادها الله عز وجل ابتلي أهل الحق بأهل الباطل، وابتلي أهل الباطل بأهل الحق، والصراع من سنن الله في خلقه، وهذه

الدنيا ليست دار استواء إنما هي دار التواء، ليست منزل فرح إنما هي منزل ترح، الجنة هي التي وعدنا بها، فكل إنسان يستبق الأمور ويريد أن تكون الدنيا جنته هذا الأمر لا يسلم له، لذلك من المنغصات الشديدة على الضعاف والأقوياء، الأقوياء منغصاتهم القلق، أقوياء لكنهم قلقون، والضعاف منغصهم عدم الاستقرار، فحينما تقبل سنة الله في خلقه، وأن هذه الحياة دار التواء أنت تريدها دار استواء، أنت تريدها دار جزاء، أما هي فدار بلاء، لا يستقيم حال على حال، لا يدوم شيء على حال واحد، كل شيء يزول، فأنت حينما تفهم فلسفة الحياة الدنيا على أنها دار ابتلاء توطن نفسك على الصبر والعمل، والنقطة الدقيقة أن أهل الكفر والضلال والفسق والفجور يألمون كما تألمون، لكن أهل الإيمان يرجون من الله مالا يرجون ! فرق كبير بين إنسان يقاتل من أجل الدنيا من أجل الثروة والسيطرة والعنجهية، وبين مؤمن مجاهد يقاتل في سبيل إعلاء كلمة الله.

العدوان على العراق أكّد أنه لا سلام مع العدو :

أيها الأخوة: الذي أراه أن هذه الأحداث الخطيرة ينبغي أن تدفعنا لحياة أخرى، وفهم آخر، وأسلوب آخر، ولتصرف آخر، وحركة أخرى .



أما لعل الله سبحانه وتعالى بهذا العدوان الأليم حرك المسلمين، ولعل هذا الدرس البليغ وصل لأعمق أعماق المسلمين، فضلاً عن حديثي في الأحد الماضي عن إيجابيات هذا العدوان، وكيف أن قيم الغرب سقطت في الوحل، وكيف أن هذه الأحداث وحدتنا، وقربت ما بيننا، وكشفت حقائق كل الناس، وأن هذه الأحداث أكدت لنا أنه لا سلام مع العدو، أما أن نقول: لسنا بحاجة لأن نقاتله، سوف نسوي معه أمورنا سلمياً، فهذا أبعد من السماء عن الأرض، هو لا يقبل إلا بالحرب، والسيطرة، والتفوق، وإذلال الطرف الآخر، والذي شهدتموه ورأيتموه وسمعتم به في هذه الأيام يكاد العقل لا يحتمله من مستوى الإذلال الذي أعدّ لكل شيء عدة تفوق حدّ الخيال، لم لا يعد لضمان أمن الناس ولضمان أموالهم؟ هذا مخطط له يُظهر المسلمين في العالم على أنهم

متخلفون، ولا يستطيعون أن يحكموا أنفسهم، ولابد لهم من وصايا، وكأن منطق الأربعينيات والانتداب عاد مجدداً، هذا التراخي في ضبط الأمن مهمته أن يرى العالم كله من هم المسلمون، هم أناس متخلفون يسرقون ويعيشون على جراحات غيرهم!

الإعداد المستمر لأعدائنا هو طريق النصر :

أيها الأخوة: أنا سأقول كلمة إعداد إن لم نعد لهم كما أمرنا الله عز وجل فلا سبيل للنصر، وأنا مؤمن أنه ما من مسلم في العالم الإسلامي إلا وكاد يتمزق ألماً لما أصاب المسلمين، وما من مؤمن في العلام الإسلامي إلا وكانت أكثر أمنياته أن يستمع لخبر يملأ قلبه فرحاً، ولكن هذا لم يحصل فلابد من درس بليغ نتعلمه من هذه الأحداث، الدرس الأول أننا مهما دعونا، ومهما رفعنا أصواتنا بالدعاء، ومهما التجأنا إلى الله، التجأنا دون أن نقدم ثمن هذا الالتجاء، التجأنا بألسنتنا يا رب ليس لنا إلا أنت، الله عز وجل لا يحابي أحداً، ولا يعبأ بكل أقوالنا، ولا بمظاهرنا، ولا بأشكالنا، ولكن يعاملنا على أعمالنا، فما لم يطرأ تطور جذري على أعمالنا، ما لم يكن هناك منعطف تاريخي في علاقاتنا وسلوكنا ومحبتنا لبعضنا وفي فعل الخيرات وإلغاء الخصومات والتقرب من الحق الذي هو رائدنا فالطريق ليس سالكاً إلا الله عز وجل.

سأقول البند الأول: الإعداد المستمر، أنا لا أريد إعداداً نوبياً، أريد إعداداً مستمراً، كيف أنهم لمئتا عام سأبقى أعدوا إعداداً دقيقاً، وخططوا تخطيطاً محكماً، وملكوا ناصية القوة، وبقوتهم فرضوا إرادتهم على كل الشعوب، هذا درس لنا، وأنا أنتظر أن العالم كله سوف يستفيد من هذا الدرس، وأن هذه الحرب التي رأيتموها هي إهانة لكل شعوب الأرض، لا للمسلمين وحدهم، أي دولة تلفق لها تهماً وما أكثرها، ثم تعد هذه التهم للعدوان عليها وإذلالها ونهب ثرواتها وخيراتها، ثم إننا نرى أن الغرب يكذب كذباً صفيقاً، يوجد كذب محكم وكذب صفيق.

الابتعاد عن المواقف النوبية الطارئة التي تأتي لوقت محدد وتزول :

أيها الأخوة: لا ينجينا إلا إيمان يحملنا على طاعته، ولا ينجينا إلا تنفيذ أمر الله أن نعد لهم ما نستطيع، أما لا يوجد إيمان يحمل الناس على طاعة الله، ولا إعداد كما أمر الله عز وجل، ونحن ننتظر أن تأتي معجزة من السماء فتنصرنا، فهذا شيء مستحيل، المعجزات للأنبياء، والتدخل الإلهي لصالح المؤمنين الصادقين، وحينما يقول الله عز وجل:

﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾

[سورة البقرة: 249]



هذا للمؤمنين الصابرين، المطيعين، المخلصين، المحبين، وإذا ارتكب بعض أصحاب النبي أخطاء – في أحد – سلوكية فلم ينتصروا وفيهم رسول الله، فإذا أحصينا الأخطاء التي نحن فيها فهي لا تعد ولا تحصى، وليس عندنا هذا الإيمان الذي يحملنا على الصبر، فالبند الأول لا نريد ردود فعل، ولا إسلام مناسبات، ولا إسلام نوبي، مناسبة وبعدها ينتهي كل شيء، الشعوب كما ترون ضعيفة الذاكرة، تغضب سريعاً وتنسى سريعاً، وما أكثر المواعظ وما أقل المتعظين، وما أكثر العبر وما أقل المعتبرين، نحن المواقف النوبية الطارئة الآنية التي تأتي لوقت محدد وتزول هذه لا قيمة لها.

مثل بسيط أضربه: أيقن المسؤولون عن نظام السير في هذا البلد أنه لابد من حزام الأمان، نشأت فورة والناس وضعوا الحزام، وبعد مدة انتهى الأمر، لاحظوا أكثر حياتنا هكذا تأتي موجة ننضبط لحين ثم ننسى وكأن شيئاً لم يكن، أنا لا أريد أن يكون العدوان مع العراق موجة تفاعلنا فيها وتألمنا وبكينا وتابعنا الأخبار أحبطنا ثم عدنا لما كنا عليه من تقصير، وتفلت، وإهمال للطاعات، لا !! هذه مشكلة المسلمين إسلام مناسبات.

لاحظ: المسلمون أحياناً لا يوجد بهم دين، يأتي الخامس عشر من شعبان فيقولون: يجب أن نصوم، هم كانوا قد ألغوا كل استقامتهم وطلبهم للعلم، حتى صار ديننا دين مناسبات نذكره في المناسبات، أما حياتنا اليومية فليس فيها التمسك والالتزام الذي أراده الله عز وجل، أول نقطة في هذا اللقاء الطيب لا ينبغي أن يكون ديننا دين مناسبات، ولا أفعالنا ردود فعل، ولا تديننا مناسبات طارئة، هذا موقف اسمه تكتيكي وموقف استراتيجي بالمصطلح الحديث، الإنسان إيمانه بالله موقف ثابت ومصيري ومنته، أما كلما نشأ حدث نسأل، ونتأثر، ونتفاعل، وندعو، وينتهي الحدث، ونمل من الأخبار، ونعود لما كنا عليه، فهذا الذي أتمناه ألا يكون بعد عدوان العراق، لأن هذا العدوان بداية وليس نهاية، وكأن الخطط الجهنمية التي وضعها الطرف الآخر لا

تنتهي باحتلال العراق، طموحهم أن كل دول المنطقة لابد من أن يكون بها كما في العراق سيطرة، واستلاب للثروات النفطية، والخيرات، والفلزات، وقهر للشعوب، وإلغاء هذا الدين، ماذا يملك من سمح الله أن يدعو إليه إلا أن يبين؟ هذه أمانة التبيين، التبيان لابد فيه من التوضيح أن هذا الإسلام النوبي، إسلام المناسبات، إسلام ردود الفعل، إسلام الفوران العاطفي ثم إنطفاء العاطفة، هذا الإسلام لا يجدي إطلاقاً، الطرف الآخر تخطيط ماكر، خطط محكمة بنفس طويل، وإعداد متقن، وبدراسة عميقة، وبأعصاب باردة، يخططون وينفذون ويسخرون منا، نحن موقفنا ينبغي أن يكون الموقف المخطط الواعي، كما أقول دائماً: أعداؤنا أذكياء وأقوياء وأغنياء، فأن نفور ونموت بشكل رخيص دون أن نحقق لهذه الأمة شيئاً!! مثلاً: لا نريد أن نبتعد معلم في الصف يريد أن يعلم طلابه علماً متيناً عميقاً ويقوم بواجبه ولا يربط دخله بعمله، أي إنسان يقول: والله أنا أعمل على قدر المعاش، هذا مقبول إسلامياً؟ لا، إن لم يكن المعاش يكفيك دع العمل كله وابحث عن آخر، أما تبقى فيه ولا تؤدي الرسالة، ولا تعتذر لقلة الراتب، فهذا أساسه غير إسلامي، هذا أول شيء، نريد استعداداً مستمراً ولا نريد فورة طارئة، نريد إسلام رسالة لا إسلام مناسبات، هذا أول درس يمكن أن نستخلصه من هذه الأحداث الأليمة.

على الإنسان إقامة أمر الله فيما يملك ليكفه ما لا يملك :

أخواننا الكرام: الدرس الثاني أقول: مهما أردت أن تقول قل: أنا مسلم، أنا من أهل القبلة، أنا أشهد أنه لا إله إلا الله، أنا من أتباع سيد المرسلين، نحن أمة مختارة، وأمة كرمها الله بهذا الدين، ونحن خير أمة أخرجت للناس، هذا كلام بكلام بكلام، الله عز وجل لا ينظر لصورنا، ولا يلقي بالاً لأقوالنا، هو ليس عند أقوالنا، ولكن عند همتنا، فأن تكون وحدك لا تعمل شيء، لكن إذا أنت وأنا وفلان وعلان وزيد وعبيد....كل واحد منا عاد لنفسه، وأصلح ما هو عليه، لعل الله يرحمه، هذا البند الأول.



أيها الأخوة: البند الثاني أحياناً إبليس له تلبيس حتى هناك كتاب اسمه تلبيس إبليس، إبليس اللعين له أسلوب عجيب، أحياناً يقنع المسلمين الشيء الذي هم قادرون عليه وبإمكاناهم أن يفعلوه من دون مساءلة، ولا محاسبة، ولا حرج، ولا قلق، ولا خوف، وهو بإمكانهم، وبين أيديهم يزهدهم فيه، يزهدك بإتقان صلاتك، يزهدك بتربية أولادك، أي جهة في الأرض تحاسبك لو ربيت الأولاد على الصدق؟ أو لو أمرت أهلك بالصلاة؟ أو لو كنت صادقاً؟ لو كنت أميناً؟ لو كنت متقناً لعملك؟ أية جهة في الأرض تقلقك لو كنت أباً ناجحاً؟ أو زوجاً مخلصاً؟ أو أخاً ودوداً؟ عندك آلاف الأعمال بإمكانك أن تعلمها وتتقرب لله، وتشعر أنك قريب من الله ولا أحد يسائلك، هذا الذي بين يديك، وأنت قادر عليه يزهدك فيه إبليس، ألا يمكن لواحد منا أن يغض بصره ويضبط لسانه ويكون مثلاً أعلى لأولاده؟ أن يربي أولاده؟ أن يجلس معهم ويكون صادقاً وأميناً ووفياً وعفيفاً؟ هذا الشيء المتاح والذي بيدك وأنت قادر عليه إبليس اللعين يزهدك فيه، الآن ليس وقتها، والشيء الذي لا تستطيعه لا أنت ولا أكبر منك ولا أمة بأكملها ولا زعماء العالم بأكملهم يطمعك به، عجيب يزهدك فيما تستطيع ويطالبك بما لا تستطيع، أنت اعكسها.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾

[سورة الرعد: 11]

أقم أمر الله فيما تملك يكفك ما لا تملك، والقصة واضحة جداً، لا تستطيع أنت أن تطفئ عدوان الكافر ولا أن تقنعه بكف يده، أنا أظن أنني أسمع هذه الكلمة حوالي مليون مرة والله لا أبالغ ! أن هذا العدوان مخالف للشرعية الدولية، صحيح هل عبئوا بهذا الكلام؟ سمعت استنكاراً قبل العدوان، ومع العدوان، وبعد العدوان، وشجباً، وتنديداً، ومساءلة، واستدعاء للسفير، وتبليغه رسالة، وحرق العلم الأميركي وبعدها ؟؟؟؟ احرق مليون علم، وقم بمليون شجب واستنكار، دخول هذا العدوان مخالف للشرعية الدولية، والعدوان صفر.

سأقول كلمة لكنها طرفة من خمسين سنة: يروى أن بريطاني كان في بلاد المسلمين، واضطر أن يستأجر دابة وصاحب الدابة عربي، وهذا العربي توهم أن هذا البريطاني لا يفهم العربية، بدأ يكيل له السباب بلا حساب، والبريطاني صامت راكباً الدابة، جاء رجل يعرف الاثنين، يعرف أن هذا البريطاني يعرف العربية، واستمع لصاحب الدابة يسب هذا البريطاني أخبره أنه يسبه قال: أسمعه لكن الدابة تسير!! هذه القصة كلها، سب واشتم حتى تمل، السباب لا يجدي، كفى كلاماً نريد عملاً، طالب مجتهد يكون الأولي، طبيب يتفوق يعالج المرضى بإخلاص، المهندس يتقن عمله يحضر صبّ السقف، لا يدع أخطاء يعدلها لاحقاً، كل إنسان يجب أن يعرف كيف يحسب عمله، وكل إنسان يعرف كيف يكون أباً كاملاً وأن تكون الأم كاملة وهذا الطريق و والله لا يوجد طريق ثان، إلا أن نبني أمة ونتقن أعمالنا، أريد أم مخلصة فوق أولادها، ليست مسيبة لأولادها، دائماً في بيت الجيران، أريد زوجاً رحيماً بزوجته وأولاده وليس زوجاً يأكل أشهى الطعام بأجمل المطاعم وفي بيته لا يوجد طعام !! يوجد خلل بأسرنا، وبمعاملنا، وبمجتمعاتنا، وبمستوصفاتنا، يوجد مصطلح جديد تفكك، والمجتمع متفكك الآن، لا أب ولا أم ولا زوجة تهتم بزوجها، ولا رب عمل يهتم بعماله، ولا عامل يخلص لصاحب المعمل، ولا إنسان يؤثر مصلحة المسلمين على مصلحته، فعندنا خلل كبير هذا الخلل ظهر بهذا العدوان، لا تلم الأعداء هذا شأنهم، أنت إذا وضعت لحم هبرة أمام القط هل تلومه؟ هذا طبيعته، القط يأكل اللحمة هذا شأنه، لكن شأنك أن تضعها في حرز حريز.

من لم تحدث المصيبة في نفسه موعظة فمصيبته في نفسه أكبر :

فأول بند في هذا الدرس إن شاء الله نريد إسلاماً مستمراً وليس إسلاماً نوبياً، الشيء الثاني الذي بين يديك لا تزهد به، عملياً لا أحد يفعل شيئاً، لأن الذي تهتم به ليس بيدك كأن تلغي عدواناً ليس بيدك، لا أنت ولا أكبر منك، والذي مكلف به لم تؤده بالنهاية لم تفعل شيئاً !!! بالنهاية قعود تام، وبأنك مهتم بشيء مستحيل وزاهد بشيء بيدك، هذا أكبر تلبيس لإبليس، الشيء الذي بإمكانك زاهد فيه، ليس بيدك تطمع فيه، بالنهاية لم يحدث شيء!! الشيء الذي بعده من لم تحدث المصيبة في نفسه موعظة فمصيبته في نفسه أكبر !

هذه الأحداث الأليمة، المذلة، القاسية، الثروات نهبت، إطفاء بئر يكلف مليار دولار على حسابنا، أنا ما سمعت إنساناً يأكل عقوبة على حسابه !! كل نفقات هذا الحرب من البترول العراقي على حسابنا، يأكل قتلة ويدفع أجرة ويجب أن يمدح، شيء مفيد جداً كان لنا، هذا منتهى القهر، والله عز وجل قال:



﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً ﴾

[سورة الفتح: 3]

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾

[سورة الحج: 40]

يوجد سلبيات كثيرة جداً، الآن الشيء الذي أتمنى أن أقوله لكم في مناسبة هذا الخبر المؤلم خبر سقوط بغداد أن الإنسان إذا انحرف سلط الله عليه قوة لا يمكن أن تنزاح عنه لماذا ؟ لأن الله سلطها، بكل بساطة لا يوجد قوة تستطيع أن تزيح هذا الذي حصل، إلا بحالة واحدة أن نرجع ونستقيم، نحن انحرفنا فجاءت هذه القوة، نستقيم تذهب، سئل تيمور لنك: من أنت ؟ قال: غضب الرب !! الرب إذا غضب يأتي بتيمور لنك، أو بإنسان كهؤلاء الذين نراهم في العالم الغربي.

التوبة النصوح و الدعاء اللحوح أحد أسباب النصر :

أخواننا الكرام: لا يوجد موضوع يعلو على هذا الموضوع، ولا موضوع يشد الناس كهذا الموضوع، فأولاً كنت أقول: لا بد من توبة نصوح ودعاء لحوح، واعمل عملاً مهما ظننته صغيراً فهو عند الله كبير، مهما ظننته لا يقدم ولا يؤخر هو عند الله بالعكس.



زارني أخ البارحة راجع نفسه، يوجد بعمله بعض المخالفات فاستفتى بها، بينت له الحكم الشرعي أنه حرام، فاستجاب وكف عنها، والله سررت، وجدت حركة، راجع نفسه، الأستاذ قال: أن نراجع أنفسنا، ونضبط أمورنا، ونلتزم بعملنا، يوجد بعض المخالفات بعمله جاء مستفتياً وذكر لي ماذا يفعل في عمله؟ بينت له أنه حرام وهذا هو الدليل، فعقد العزم على ترك هذه المخالفة، ثم أخبرني بعد قليل وأقسم لي أنه لمجرد ترك هذه المخالفة فتح له باب رزق جديد، عامل الله بإخلاص، فإذا كل منا راجع عمله، عنده إنسان مظلوم، مخالفة شرعية، بضاعة محرمة، بنت من بناته ثيابها لا ترضي الله عز وجل، يوجد حفلة مختلطة لا ترضي الله عز وجل، يوجد دخل مشبوه، أو إنفاق مشبوه، أو سهرة مختلطة لا ترضي الله، عنده مواقف غير إسلامية، أو تصديق لشيء خلاف القرآن الكريم، معجب بجهة كافرة، راجع نفسك، الآن وقت المحاسبة يا أخوان، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا.

متى تغضب ؟

أخ كريم رجاني أن أعيد قصيدة ألقيتها في خطبة سابقة عنوانها:" متى تغضب!" الحقيقة هذه القصيدة في أثناء العدوان لم يكن من المناسب أن أعيدها، هو الرجاء قديم، لكن بعد النتائج المؤلمة جداً التي حلت بأمتنا وجدت من المناسب أن أعيدها: يقول صاحب هذه القصيدة:

أخي في الله أخبرني متى تغضبْ ؟

إذا انتهكت محارمنا

إذا نُسفت معالمنا ، ولم تغضبْ

إذا قُتلت شهامتنا ، إذا ديست كرامتنا

إذا قامت قيامتنا ، ولم تغضبْ

فـأخبرني متى تغضـبْ ؟

إذا نُهبت مواردنا ، إذا نكبت معاهدنا

إذا هُدمت منازلنا ، إذا قطعت طرائقنا

وظلت قدسنا تُغصبْ

ولم تغضبْ

فأخبرني متى تغضبْ ؟

عدوي أو عدوك يهتك الأعراض

يعبث في دمي لعباً

إذا لله.. للحـرمات.. للإسلام لم تغضبْ

فأخبـرني متى تغضبْ ؟!

رأيتَ هناك أهوالا

رأيتَ الدم شلالاً

رجالاً شيعوا للموت أطفالاً

رأيتَ القهر ألواناً وأشكالاً

ولم تغضبْ

فأخبـرني متى تغـضبْ ؟

وتجلس كالدمى الخرساء بطنك يملأ المكتبْ

تبيت تقدس الأرقام كالأصنام فوق ملفّها تنكبْ

رأيت الموت فوق رؤوسنا ينصب

ولم تغضبْ

فصارحني بلا خجلٍ لأية أمة تُنسبْ؟!

***



يليق بأمة تنزف جراحها أن يتسلى شبابها بالكرة؟ هل يليق؟

الآن يوجد شيء يطرح على الساحة اسمه فقد الهوية، أنت من؟ إنسان حضاري أنت متخلف عن حاضرة العصر !! إنسان جاهلي يعتز بالجاهلية متخلف عن أخلاق الجاهليين، كان يوجد مروءة، كان عنترة يقول: أغض طرفي إن بدت لي جارتي، أنت إسلامي متخلف عن إسلامك، أنت من؟

فصارحني بلا خجلٍ لأية أمة تُنسبْ؟!

إذا لم يُحْيِ فيك الثأرَ ما نلقى

فلا تتعبْ

لست لنا ولا منا ولست لعالم الإنسان منسوبا

فعش أرنبْ ومُت أرنبْ

ألم يحزنك ما تلقاه أمتنا من الذلّ

ألم يخجلك ما تجنيه من مستنقع الحلِّ

وما تلقاه في دوامة الإرهاب والقتلِ

ألم يغضبك هذا الواقع المعجون بالذلِ

وتغضب عند نقص الملح في الأكلِ!!

ألم يهززك منظر طفلة ملأت

مواضعَ جسمها الحفرُ

ولا أبكاك ذاك الطفل في هلعٍ

بظهر أبيه يستترُ

فما رحموا استغاثته

ولا اكترثوا ولا شعروا

فخـرّ لوجهه ميْتـاً

وخرّ أبوه يُحتضرُ

متى يُستل هذا الجبن من جنبَيْك والخورُ ؟

متى التوحيد في جنبَيْك ينتصرُ ؟

متى بركانك الغضبيُّ للإسلام ينفجرُ

فلا يُبقي ولا يذرُ ؟

أتبقى دائماً من أجل لقمة عيشكَ

المغموسِ بالإذلال تعتذرُ ؟

متى من هذه الأحداث تعتبرُ ؟

وقالوا : الحرب كارثةٌ

تريد الحرب إعدادا

وأسلحةً وقواداً وأجنادا

وتأييد القوى العظمى

فتلك الحرب ، أنتم تحسبون الحرب

***

نابوا عنا أطفال الحجارة، ضربوا الحجارة وانتهى الأمر، هذه الحرب، الحرب أسلحة فتاكة..

والله رأيت صورة في الأخبار عند أحد أصدقائي؛ بغداد كلها على شاشة رادار، يوجد هدف كبره الطيار ثم كبره أكثر حتى البيت بمسبحه ملون على شاشة الطيار، وضع إشارة فوق البيت وضغط زراً دمر البيت، تقنية العقل لا يصدقها، كل جندي معه هاتف موصول بالأقمار الصناعية يقول: ماذا يفعل، ماذا يشاهد، ماذا يواجه.

تريد الحرب إعدادا

وأسلحةً وقواداً وأجنادا

وتأييد القوى العظمى

فتلك الحرب ، أنتم تحسبون الحرب

أحجاراً وأولادا ؟

نقول لهم : وما أعددْتُمُ للحرب من زمنٍ

أألحاناً وطبّالاً وعوّادا ؟

***

بيانات مكررة بلا معنى؟

كأن الخمس والخمسين لا تكفي

لنصبر بعدها قرنا!

أخي في الله! تكفي هذه الكُرَبُ

رأيت براءة الأطفال كيف يهزها الغضبُ

وربات الخدور رأيتها بالدمّ تختضبُ

رأيت سواريَ الأقصى لكالأطفال تنتحبُ

وتُهتك حولك الأعراض في صلفٍ

وتجلس أنت ترتقبُ

ويزحف نحوك الطاعون والجربُ

أما يكفيك بل يخزيك هذا اللهو واللعبُ ؟

وقالوا : كلنا عربٌ

سلام أيها العربُ !

شعارات مفرغة فأين دعاتها ذهبوا

وأين سيوفها الخَشَبُ ؟

شعارات قد اتَّجروا بها دهراً

أما تعبوا ؟

وكم رقصت حناجرهم

فما أغنت حناجرهم ولا الخطبُ

فلا تأبه بما خطبوا

ولا تأبه بما شجبوا

***

هذا وصف مؤلم جداً لواقع الأمة، وصف معبر ودقيق وشفاف لما هي عليه الأمة، فأرجو الله أن نصحو ونتعاون، ونضع خلافاتنا تحت أقدامنا.

على المسلمين أن يتعاونوا ليرقوا بأمتهم :

أرجو الله أن يفكر المسلم بأخيه المسلم، وأرجو أن نهب ما وهبنا الله إياه في سبيل أمتنا، وفي سبيل هذا الدين العظيم، أرجو الله أن نغار على هذا الدين، نحن أمام جائحة جديدة، الأطماع كبيرة جداً، صدقوني العراق بداية وعندهم تهم جاهزة لكل بلد، فنحن أمام خطر كبير، هذا الخطر لا يتحمل خلافات، ومظاهر، ومنافسة، وتقصير مع الله عز وجل، ولا معاصي باطنة، ولا بيوت مفككة، ولا عمل غير متقن، ولا هروب من المسؤولية، ما نحن فيه يحتاج لوقفة واحدة، فلذلك توبة نصوح ودعاء لحوح وعمل تقوي به أمتك وتخفف عن المسلمين العبء.



موظف التقيت معه تأتيه بضاعة بالميناء، أعتقد أول سبعة أيام بدون مقابل بعدها كل يوم يوجد مبلغ كبير جداً، يصل لمئتين أو ثلاثمئة ألف، تأخير خمسة أيام أو ستة، نظام التخليص يوجد رسم يجب أن يدفع فوراً حتى يستفيد صاحب البضاعة من الأيام المجانية، أما إذا لم يدفع فتبدأ الفترة الأولى مأجورة، صاحب البضاعة البعيد لم

يتبلغ، يأتي هذا الموظف ويدفع منه ألف ليرة – الرسم– هذا يكون قد وفر عليه مئتين أو ثلاثمئة ألف، ويعطيه فوراً دون تأخير، لكن هذا من غيرته على المسلمين عوضاً أن ندفع للشركات الأجنبية أربعمئة ألف أو خمسمئة ألف من مال الأمة إذا كان دفع ألفاً وقال: هذا الوصل تفضل، وأنا أقسم بالله أثق به لا يأخذ قرشاً زائداً لكن ماذا فعل؟ وفر على مسلم أو إنسان يقيم في هذا البلد الطيب أربعمئة أو خمسمئة ألف ليرة تأخير تفريغ حاويات، هذا المسلم، سد ثغرة، ممكن بكل دائرة وبكل مكان أن تخدم الناس، وتعينهم، وتخفف عنهم، وتعينهم على قضاء حوائجهم، أنت مجاهد كأن تلبي مريضاً وتعاون أخاً، أنت مجاهد هذا الجهاد واسع جداً، لا تفهمه قتالاً، أو موجة متنا ورجعنا، متنا ولم نعد، افهمه أعمق من هكذا، افهم أنها أمة يجب أن تقويها، أنا لا أملك إلا هذه الموضوعات، وإن شاء الله الأمور تهدأ لاحقاً و نعود لدروس الدين، لكن هذه الموضوعات مهمة جداً، ماذا ينبغي أن نفعل؟ عندما كنا صغاراً لم يكن هناك غاز، بل بابور بريموس، يشحّر نأخذه للسمكري يضعه على بابور ضرب ليصبح الرأس مثل الجمر ثم ينفضه، نحن يلزمنا نفض، طبعاً المشهد أذكره تماماً، يوضع على بابور ضرب ليصبح مثل الجمر، ثم يضعه على منفاخ، وينفخ يقول: نفضنا الرأس، يبدو أننا يجب أن ينتفض هذا الرأس قليلاً.

3.4 أهمية الكلمة في زمن الفتن

بسم اللـه الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ بلال :

السلام عليكم ؛ كيف نتماسك في الأزمات وننجو من الهلع والخوف ؟ كيف نؤدي الأمانات إلى أهلها ؟ وما هي أهمية أداء الأمانة في زمن الأزمات والمصائب ؟ كيف نتعاون ونتكافل ونتراحم ؟ وما توجيهات الإسلام في ذلك ؟ كيف نتفاءل ونثق بنصر الله عز وجل ووعوده ؟ ثم ما أهمية الكلمة في زمن الفتن وكيف نحفظ لساننا في زمن الأزمات ؟ تابعوا هذا اللقاء لتتعرفوا على الإجابة على هذه الأسئلة في هذه الحلقة بعنوان : قيم الإسلام في التعامل مع المحن .

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أخوتي الأكارم ؛ أخواتي الكريمات ؛ أينما كنتم أسعد الله أوقاتكم بكل خير ، في مستهل حلقة جديدة من برنامجكم درر ، أرحب باسمكم بفضيلة أستاذنا الدكتور محمد راتب النابلسي ، السلام عليكم سيدي .

الدكتور راتب :

عليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم موضوعنا غني بدأناه في اللقاء السابق ، والعالم الإسلامي اليوم يعج بالأزمات ، نسأل الله العافية والسلامة والفرج القريب ، لكن الأزمات لها فقه خاص ، ولها طريقة في التعامل ، ونحن في اللقاء الماضي فقط انتهينا من فلسفة المصيبة والأزمة ، وهذا كان أمراً مهماً جداً ، لكن اليوم نبدأ الخوض في التفاصيل .

أولى الأخلاق التي ينبغي أن يتحلى بها المسلم في الأزمات ، في المحن ، في المصائب أن يتماسك ، ألا يهلع ، ألا يصل إلى درجة الخوف الشديد الذي يخرجه عن طوره ، والله عز وجل يقول :

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾

[سورة المعارج : 19-22]

كيف يحمي الإنسان نفسه من الهلع في حالة الأزمات ؟

كيفية حماية الإنسان نفسه من الهلع في الأزمات :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، وارض عنا وعنهم يا رب العالمين .



أستاذ بلال ؛ لو تصورنا جهاز كومبيوتر لفحص الدم ، ثمنه مرتفع ، بمئات الملايين، هذا الجهاز معه نشرة لطريقة الاستعمال والصيانة ، فلأن هذا الجهاز غال جداً ونفعه كبير معه من طرف الشركة الصانعة تعليمات التشغيل والصيانة ، فانطلاقاً من حرصنا على هذا الجهاز ينبغي أن نتبع عند استعماله تعليمات الصانع .

الآن عندنا في هذا الجهاز الغالي جداً شيء اسمه فيوز ، ما هو الفيوز ؟ هذا الاسم أجنبي يعني وصلة ضعيفة ، فإذا جاء التيار أعلى مما ينبغي فبدل أن يحترق الجهاز ونخسر ثمنه ، هذه الوصلة الضعيفة تسيح فينقطع التيار ، فأنا أقول : هذه المصائب كلها من هذا القبيل ، هو ضعيف ، قال تعالى :

﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً ﴾

[سورة النساء : 28]

﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً ﴾

[سورة الإسراء : 11]

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً ﴾

[سورة المعارج : 19]

هذه نقاط ضعف في أصل خلق الإنسان ، وهذه النقاط لصالحه ، لولا هذه النقاط ما تاب إنسان ، لولا هذه النقاط ما استقام إنسان ، لولا هذه النقاط ما سعد إنسان ، فلذلك فيه نقطة ضعف ، لو خلق الإنسان قوياً لاستغنى بقوته فشقي باستغنائه ، خلق ضعيفاً ليفتقر في ضعفه فيسعد بافتقاره ، هذا الأصل ، الله عز وجل ثبّت مليون قانون أما قانون الصحة وقانون الدخل والرزق فمتغيران ، فالإنسان بطولته أن يفهم على الله عز وجل ، إذا كان مؤمناً يفهم على الله عز وجل ، يقرأ القرآن الكريم ، يفكر في الأكوان ، يقرأ سيرة النبي العدنان، يفهم الأمور تماماً .

الأستاذ بلال :

ينجو من الهلع إلا المصلين ، هذا مستثنى ؟

من طبق سنة النبي العدنان فهو في مأمن من عذاب الله :

الدكتور راتب :

أنا إذا قلت كلمة إنسان ، كم إنسان تشمل ؟ الآن سبعة مليارات ومئتا مليون ، قل : إنسان مسلم ، مليار وثمانمئة مليون ، قل : إنسان عربي ، خمسمئة مليون ، قل : إنسان عربي مثقف قد يكون النصف ، قل : إنسان عربي مثقف طبيب ، قد يكون مئة ألف ، قل : إنسان عربي مثقف طبيب جراح قلب ، قد يكون خمسة، مقيم بعمان ، واحد مثلاً ، فكلما جاءت الصفات وتتابعت ضاقت الدائرة ، قال تعالى :

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً ﴾

[سورة المعارج : 19-21]

صفتان متقابلتان ، إذا مسه الشر جزوعاً ، ينهار ، وإذا مسه الخير منوعاً ، يبخل ، قال تعالى :

﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾

[سورة المعارج : 22]

لكن لئلا نفهم أي مصلّ ، قال النبي صلى الله عليه وسلم :

((ولن يُغْلَبَ اثنا عَشَرَ ألفا مِنْ قِلَّةٍ))

[أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عباس]



المسلمون مليار وثمانمئة مليون ، وليس أمرهم هو النافذ ، وليس مصيرهم بيدهم ، وللجهات الأخرى لها عليهم ألف سبيل وسبيل ، إذاً عندنا مشكلة ، والبطولة ألا نقفز على المشكلة ، أن نواجه المشكلة، الحقيقة الأولى على مستوى الأمة قال تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾

[سورة الأنفال: 33]

وما كان الله ليعذب أمة محمد ما دامت سنته قائمة في حياتهم ، هم في مأمن من عذاب الله ، انا أفهم الأمور كما يلي ، نحن كأفراد ننجو بشكرنا وطاعتنا لله ، قال تعالى :

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ ﴾

[سورة النساء : 147]

أما كأمة فبتطبيق منهج رسول الله ، وإلا نحن نواجه مشاكل كثيرة جداً ، أحدهم قال للنبي الكريم : "عظني ولا تطل – أريد موعظة موجزة – قال له : قل آمنت بالله ثم استقم ، فقال له : أريد أخف من ذلك ؟ قال : إذاً فاستعد للبلاء " أي نعيش كما نتمنى ، يوجد اختلاط ، و مال مشبوه ، و ربح لا يرضي الله عز وجل ، و علاقات عائلية لا ترضي الله ، و تجاوز للحدود، و تفلت ، و تقصير بالعبادات ، وأن تأتي الدنيا كما نتمنى! هذا مستحيل .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم ؛ القيمة الأولى في تعامل المسلم مع الأزمات أن يتماسك ، وحتى يتماسك ولا يصاب بالهلع عليه أن يكون من المصلين وفق قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾

[سورة المعارج : 23-26]

إلى آخر الآيات ، النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا حزبه أمر صلى ، إذاً نتماسك بصلتنا بالله عز وجل .

قيم تعامل المسلم مع الأزمات :

1 . التماسك :

الدكتور راتب :



إذا تصورنا المصيبة متر مكعب من الحديد ساقط من السماء طبق ورق لا يقف أمامها ، لا بد من إسمنت مسلح ، من جدار إسمنتي مسلح متين جداً يقف أمامها ، الشهوات موجودة ، الإنسان عنده شهوات ، وعنده عقل يدرك ، وقلب يحب ، وأودع الله فيه الشهوات ، الشهوات قوة لا يوقفها إلا الإيمان القوي ، لا يوقفها إلا خوف الله ، لا يوقفها إلا الطمع بالجنة ، هناك عوامل لوقف هذه الشهوات ، بالمناسبة بالإسلام لا يوجد حرمان ، والدليل القوي ، قال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ﴾

[سورة القصص : 50]

عند علماء الأصول المعنى المخالف : الذي يتبع هواه – شهوته – وفق هدى الله لا شيء عليه ، فالبطولة أن تمارس هذه الشهوات وفق منهج الله .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم ؛ القيمة الثانية في التعامل مع الأزمات هو التحلي بالأمانة ، دائماً عندما يكون فوضى في مجتمع ما بسبب أزمة ، بسبب حرب ، بسبب شيء تكثر السرقات عموماً ، التحلي بالأمانة خلق إسلامي مطلوب في الأزمات أكثر من غيرها ما تعليقكم ؟

2 . التحلي بالأمانة :

الدكتور راتب :

أنا أتصور الأزمات تشبه الوحوش الكاسرة ، مضبوطة بأزمة محكمة ، أنا علاقتي حقيقة ليست مع الوحوش ، لكن مع من يملك هذه الوحوش ، والدليل قوله تعالى :

﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

[سورة هود : 55-56]

هذا الإيمان يرقى بالإنسان ، ويجعله متماسكاً ، يجعله صبوراً ، يجعله متفائلاً ، علاقته مع الله ، دائماً الشركاء متشاكسون ، من ضعف إيمانه بالله أصبح يتمنى إرضاء زيد وعبيد ، وفلان وعلان ، هذا شيء صعب ، فأنت إذا اتجهت إلى جهة واحدة وأرضيتها ملكت كل شيء .

((ابن آدم اطلبني تجدني ، فإذا وجدتني وجدت كل شيء ، وإن فتك فاتك كل شيء ، وأنا أحبّ إليك من كل شيء))

[تفسير ابن كثير]

وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم جزاكم الله خيراً ، أخوتي الأكارم ما زال في حديثنا بقية نتابعها بعد فاصل قصير ...

السلام عليكم عدنا إليكم من جديد لنتابع الحديث عن قيم الإسلام في التعامل مع المحن والأزمات . أستاذنا الكريم كنا قد انتهينا قبل الفاصل من قيمتين عظيمتين أولهما التماسك، وثانيهما التحلي بالأمانة فهي مطلوبة في وقت الأزمات أكثر من أي وقت مضى ، القيمة الثالثة في التعامل مع الأزمات هي التراحم والتعاون، بعض الناس يستغلون الأزمات فيرفعون الأسعار، يحتكرون بعض البضائع ما يسمون بتجار الحروب، تتجلى قيمة التراحم التي يعيشها المجتمع المسلم في الأزمات ، فالأزمات تسفر عن أخلاق الناس الحقيقية ، كيف نبين لك ؟

3 . التراحم و التعاون :

الدكتور راتب :



تذكرت بهذا السؤال اللطيف حديثاً شريفاً مكتوباً ضمن حجرة مقام النبي صلى الله عليه وسلم الشريف ، أفضل المعروف إغاثة الملهوف ، الحقيقة العمل الصالح في الأزمات له أجر كبير جداً ، هناك أزمة ، ومشكلة ، وقلق ، وخوف ، وفقر ، وضيق، و هناك أناس يستغلون هذه الأزمات كما تفضلت تجار الحروب ، هناك مشكلات كثيرة تتفاقم ، الأمة بالأوضاع العادية الخير كامن والشر كامن ، أما بالاستثناءات فالخير يظهر والشر يظهر ، لذلك قيل : لا تكرهوا الفتنة فإن فيها حصاد المنافقين ، فالبطولة الإنسان وهو في المحنة أن يكون معتدلاً في تجارته ، الأسعار معقولة ، يوجد تساهل و رحمة ، والإنسان إن لم يرحم لا يرحم ، والرحمة تتبدى أكثر ما تتبدى بالأزمات .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم والقيمة الرابعة هي التكافل ، أعني بالتكافل بعض الحالات ، بالأزمات يفتقر صاحب العمل فيسرح عماله ، وكان ينبغي أن يتكافل معهم فيتحمل بعض الخسارة ، علينا في الأزمة أن نكون أكثر تكافلاً ، أبناء الحي ، أبناء المدينة الواحدة .

4 . التكافل :

الدكتور راتب :



والله أنا أثني على عدد ليس بالقليل من أصحاب المعامل ممن أعرفهم ، وممن هم يخافون الله عز وجل مع أن المعمل لا يعطي الرواتب بشكل مستمر ، أنا قلت له : والله كأنك حججت إلى بيت الله الحرام ، هذا العامل من له غيرك ؟ أذكر أن صاحب معمل من أخواني يعمل عنده أربعة وثمانون عاملاً ، فقرر أن يوقف المعمل ، قلت له : أنت تفتح خمسة وثمانين بيتاً ، وكل بيت فيه خمسة أشخاص ، هذا أكبر ربح في الآخرة ، فلذلك البطولة في الأزمات ، لذلك أصل المعروف إغاثة الملهوف.

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم أنتقل إلى قيمة مهمة جداً وهي حفظ الكلمة ، الكلمة في الأزمات وقعها كوقع السيف ، ألا ينبغي للإنسان أن يحفظ كلامه ؟ ألا يوقعه كلامه في فتنة كبيرة ؟ فتنة عظيمة أن يحفظ كلامه ويعده من عمله .

5 . حفظ الكلمة :

الدكتور راتب :

هذه الملاحظة أنا أرد عليها دائماً يمكن تكلمتها مئات المرات ، طرح أية قضية خلافية في هذه الأزمات يعد في حق الأمة جريمة ، أنا دائماً أفهم ، عند بعض الأشخاص المشهورين الكبار الدعاة الأقوياء يفهمون الدين خطاً رفيعاً ، فإذا خرج الآخر عنه ميلمتراً كأنه خرج من الدين ، أنا أفهم الدين شريطاً عريضاً يسع الجميع ، فالخروج ، ليس من السهل أن تقول : أنت خرجت من الدين ، الآن التكفير والتبديع والتشريك على قدم وساق، وهذه مشكلة كبيرة جداً ، عفواً أعداؤنا يتعاونون وبينهم خمسة بالمئة قواسم مشتركة ، ونحن نتقاتل أحياناً وبيننا خمسة وتسعون بالمئة قواسم مشتركة ، وهذا شيء مؤلم جداً ، لو رمزنا للحق بالشمس الساطعة

وللباطل بالظلام الدامس ، أيضاً مشكلة ثانية الذي يعمل في الظلام الدامس ينتصر على النائم في ضوء الشمس .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم أنتقل إلى قيمة أخرى من قيم الإسلام في التعامل مع الأزمات الثقة بالله والتفاؤل ، اليوم حالة إحباط شديدة تسود المجتمع الإسلامي لتوالي هذه النكبات التي أحاطت بالأمة .

6 . الثقة بالله و التفاؤل :

الدكتور راتب :



ما قولك أن النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة وضعت مئة ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً ؟ أي أهدر دمه ، يتبعه سراقة ، شيء لا يصدق ، يقول له : كيف بك يا سراقة إن لبست سواري كسرى ؟ دقق في هذا الكلام إنسان ملاحق ، مهدور دمه ، مئة ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً، ماذا يعني ؟ أي أنني سأصل سالماً إلى المدينة ، وسأنشئ دولة ، وسأعدّ جيشاً، وسأحارب أكبر دولة في العالم ، الفرس ، وسأنتصر عليها ، وسوف تأتيني غنائم كسرى إلى المدينة ، ولك يا سراقة سوار كسرى ، حتى مما يروى أن سيدنا عمر قال : إن الذي أدى هذا لأمين ، فقال له سيدنا علي : يا أمير المؤمنين لقد عففت فعفوا ، ولو رتعت لرتعوا . فهمت سبب أمانته ، الأمانة تبدأ من الرأس إلى القاعدة .

وهناك شيء آخر ، قال : أين سراقة ؟ وألبسه سواري كسرى ، وقال : بخ بخ أُعيرابي من بني مدلج يلبس سواري كسرى ؟!

تحققت وعود الله عز وجل لرسول صلى الله عليه وسلم .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم حتى في التاريخ ونحن نتحدث عن الثقة بالله والتفاؤل بنصره كثير من المحن مرت على المسلمين وتجاوزوها ، في غزوة الخندق مع النبي صلى الله عليه وسلم بلغ الأمر بالإسلام أن يكون أو لا يكون ثم قيد الله النصر لهذه الأمة .

الله عز وجل لا يتخلى عن عباده :

الدكتور راتب :

قال تعالى :

﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ﴾

[سورة آل عمران : 146]

هذه أخلاق المؤمنين ، أي مؤمن الآن يقول لك انتهينا وقع في خطأ كبير .

((أمتي كالمطر لا يُدرى أوله خير أم آخره))

[صحيح عن أنس]

الأستاذ بلال :

وفي الخندق قال تعالى :

﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً * وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً ﴾

[سورة الأحزاب : 11-12]

ولكن بعدها يقول :

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾

[سورة الأحزاب: 23]

هذا هو الثبات .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم الله عز وجل لا يتخلى عن عباده ؟

الدكتور راتب :

أبداً ، مستحيل وألف ألف مستحيل .

الأستاذ بلال :

قضية وقت ؟

الدكتور راتب :

يؤدبهم ويدفعهم إلى بابه بطرائق كثيرة جداً ، ذكرت قبل قليل أن هناك هدى بيانياً ، وتأديباً تربوياً ، وإكراماً استدراجياً .

الأستاذ بلال :

قضية الفرج هي قضية وقت إن شاء الله حتى يعود المسلمون ويصطلحوا مع ربهم.

الدكتور راتب :

ومن لم تحدث المصيبة في نفسه موعظة فمصيبته في نفسه أكبر .

الأستاذ بلال :

أكبر من المصيبة ، يصبح هو المصيبة بذاته ، أستاذنا الفاضل تحدثنا عن قيم الإسلام في التعامل مع الأزمات حفظ الكلمة ، أريد أن أعود إليها فقط لشيء بسيط ، ألا يشمل حفظ الكلمة أن يقول الإنسان الحق في حالة الأزمات ؟ أن يتكلم بكلمة الحق طبعاً ؟

الجهر بكلمة الحق :

الدكتور راتب :

طبعاً لا بد من كلمة الحق يجهر بها ، المؤمن لا تأخذه في الله لومة لائم .

الأستاذ بلال :

إذاً يحفظ لسانه عن الوقوع في الفتن ، ويحفظ لسانه ألا يتكلم بالباطل .

الدكتور راتب :

بدل أن يثبط العزائم يرقى بالمعنويات ، هذا من صفات المؤمن .

خاتمة و توديع :

الأستاذ بلال :

جزاكم الله خيراً أستاذنا الكريم ، وأحسن إليكم .

أخوتي الكرام لم يبق لي في نهاية هذا اللقاء الطيب إلا أن أشكر لكم حسن استماعكم ، وطيب متابعتكم ، سائلاً المولى جلّ جلاله أن ألتقيكم في أحسن حال مع الله ومع خلقه ، إلى الملتقى أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الخاتمة : الوطن للجميع

بسم اللـه الرحمن الرحيم

ماذا ينبغي على المسلم أن يعمل في أحوال المسلمين الساخنة ؟

أيها الإخوة، لا يزال الموضوع الذي يطرق في هذا الشهر ساخناً جداً، ولكن ماذا ينبغي على المسلم أن يعمل؟

البند الأول: لا لشق كلمة المسلمين:

البند الأول فيما أراه، وأتمنى أن أكون على صواب لا ينبغي أن يقول المسلم الآن كلمة واحدة تشق صفوف المسلمين، ولا تباعدوا الهوة بينهم، ولا تشتتوا جمعهم، ولا تمزقوا وحدتكم بدافع من إخلاصك، بدافع من حرص على وحدة الأمة بدافع من أن العالم الغربي وضعنا جميعاً في سلة واحدة، فينبغي أن نقف جميعاً في خندق واحد بدافع من شعورك بالانتماء لهذه الأمة، بأي مقياس شئت، بأي قيمة أردت، بأي نظرة نظرت، ينبغي بدافع من إيمانك، ومن دينك، ومن حرصك على سلامة أمتك، وعلى وحدة أمتك، وعلى نصر نرجوه إن شاء الله، ينبغي ألا تنطق بكلمة واحدة، لا أمام ملأ، ولا بين شخصين تهدم ما بين الأمة من وحدة، تشتت جمعها، تشق صفوفها.

هذه النقطة الأولى في هذه الخطبة: بدافع من دينك، أو بدافع من حكمتك، أو بدافع من انتمائك لأمتك، ينبغي أن يكون كلامك جامعاً وموحداً، لأننا جميعاً الآن في قارب واحد.

ورقة الأعداء الرابحة: الطائفية



أيها الإخوة الكرام، يجب أن تعلموا علم اليقين، وأنا أشدد على ذلك أنه بيد أعدائنا ورقة رابحة، وأرجو أن تكون وحيدة هي إثارة الفتن الطائفية، ونحن بوعينا، وعمق إدراكنا، وإخلاصنا، وحرصنا على سلامتنا، وحرصنا على أن ننتصر يمكن أن نسقط هذه الورقة الرابحة الوحيدة من أيدي أعدائنا، الورقة إثارة الفتن الطائفية، عد هذا سياسة، عُدَّ هذا حكمة، عد هذا تضامناً، عد هذا تعاوناً، نحن في أمسّ الحاجة أن نسقط من يد أعدائنا هذه الورقة الوحيدة والرابحة، إثارة الفتن الطائفية، وليس القطر الذي بجوارنا عنا ببعيد، الآن دخل البلد المجاور في حرب أهلية، وتنتهي بالتقسيم، وقد بدأ الغربيون يلمحون بالتقسيم.

أيها الإخوة الكرام، يجب أن نعلم علم اليقين كيف يخطط لنا أعداؤنا، أعداؤنا بدؤوا في هذه الفترة في هذا الشهر يطرحون كلمة شرق أوسط جديد، وهو يعني عددا كبيرا من الدول، كل عرق، كل قوم، كل طائفة، كل انتماء دولة، ولها علم، ولها قوانين، والانتقال من بلد إلى بلد يحتاج إلى جواز سفر، هذا الشيء كان مخبئاً تحت الطاولة، الآن هو معلن، فلذلك أيها الإخوة الكرام، نحن في أمسّ الحاجة إلى التعاون، إلى أن نسقط من أيدي أعدائنا هذه الورقة.

أعجبتني كلمة أحد العلماء حينما سمى مشروع الشرق الأوسط الجديد شرخ أوسخ حقير.

أيها الإخوة الكرام، كما تعلمون الله عز وجل يعلم ماذا يجري، ولا يليق بربوبيته ولا بألوهيته ألا يعلم، والآية تقول:

﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾

[سورة الأنعام: 59]

فكيف بالصاروخ ؟ فكيف بقتل الألوف، وتشريد عشرات الألوف ؟ هو يعلم، ويجب أن نؤمن يقيناً أنه على كل شيء قدير، وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، زل فيزول.

ذكرت لكم في خطبة سابقة أن زلزال تسونامي يساوي مليون قنبلة ذرية، إن الله على كل شيء قدير، هو يعلم ويقدر، بقي وهم ثالث، أن الله لا يعنيه ما يجري في هذه المنطقة، أيضاً هذا يتناقض مع ألوهيته، ومع ربوبيته، قال تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ ﴾

[سورة الزخرف: 84]

بقي الاحتمال الرابع اليقيني أن الذي يجري بعلمه، وبخطته لحكمة بالغة بالغةٍ، يعرفها المؤمن، وقد يغفل عنها ضعيف الإيمان.

أيها الإخوة الكرام،

((يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فلا يَلُومَنَّ إلا نَفْسَهُ))

[مسلم، أحمد، الترمذي، ابن ماجه، الدارمي]

قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾

[سورة هود: 117]

نظرية المؤامرة حجة ضعفاء المسلمين



هذه حقيقة كبيرة، ولكن مع الأسف الشديد في أوساط المسلمين لا يُقبل التحليل التوحيدي، التحليل القرآني، التحليل الإيماني، التحليل الذي من عند الله، لا نقبل إلا تحليلاً أرضياً، مؤامرة، ونظرية المؤامرة نظرية بالية.

الإنسان أيها الإخوة يميل إلى أن يلقي المسؤولية على غيره، فكلما قصر، وكلما توانى يقول لك: مؤامرة، يتآمرون علينا، جزء من قوتهم بسبب ضعفنا، جزء من قوتهم بسبب تخاذلنا، نظرية المؤامرة ينبغي أن تركلها بقدمك، وقد ألِف المسلمون في تاريخهم الحديث أن كل خطأ في حياتهم بسبب الاستعمار، أو بسبب الصهيونية، أو بسبب الإمبريالية، هذا كلام مضحك، الخطأ منا، الخطأ من ضعفنا، من عدم تعاوننا، من عدم إعداد العدة لعدونا، هذه الحقيقة المرة، و ينبغي أن تكون أفضل ألف مرة من الوهم المريح. دققوا أيها الإخوة، شيء مريح جداً كلما ألمّت بنا ملمّة أن نعزوها لأعدائنا، نحن المقصرون، أقسم لكم بالله الحل بأيدينا:

﴿ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ ﴾

[سورة الأنفال: 19]

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾

[سورة الرعد: الآية 11]

﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾

[سورة النساء: الآية 141]

﴿ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾

[سورة الصافات: 173]

هل تحققت جنديتك لله ؟

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾

[سورة غافر: الآية 51]

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً ﴾

[سورة النور: 55]

هذه وعود الله، و زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده.



أيها الإخوة الكرام، الغرب قوي، ولا يعبأ بالضعيف، ولا يصغي إلى حجة الضعيف، ولا يبالي بالضعيف، هذا شأن القوي الكافر، أنت حين تفكر بأقواله تحترمه، هو أحقر من ذلك، قوِ نفسك، و اضربه، الغرب القوي لا يحترم إلا الأقوياء، الله عز وجل يقول:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾

[سورة الأنفال: 60]

هذا إذا أخذنا من الدين ما يعجبنا، أعجبنا من الدين العمرة، أعجبنا من الدين قصر الصلاة في السفر، أعجبنا من الدين سنة الزواج، أعجبنا من الدين الأشياء الخفيفة، أما حينما يقول الله لك:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾

[سورة الأنفال: 60]

إذاً لابد من أن نطبق منهج الله بأكمله، أيعقل أن يبنى بلد في عشرين عاماً بقرض ربوي، أربعون مليار، ونصف الدخل القومي للبلد المجاور خدمة القرض، أي أداء الفائدة فقط، و كل منجزات هذا القرض تلغى في أربعة أيام ؟ ما قيمة أمة من دون قوة ؟ ما قيمة أمة، بل ما قيمة منجزات أمة من دون قوة ردع ؟ أيها الإخوة الكرام، لعل أكبر شيء وقع فيه المسلمون أنهم لم يؤمنوا الإيمان الذي حملهم على طاعة الله، ذكرت لكم كثيراً أن هناك دائرة كبيرة، كل من كان داخلها فهو مؤمن، وإبليس داخل هذه الدائرة، لأنه قال:

﴿ فَبِعِزَّتِكَ ﴾

[سورة ص: 82]

وقال:

﴿ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ ﴾

[سورة ص: 76]

وقال:

﴿ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾

[سورة الأعراف: 14]

البند الثاني: الإيمان الحقيقي بالله:

هذا الإيمان الذي لا يترجم إلى سلوك لا قيمة له إطلاقاً، هو إيمان إبليسي، قلما تجد في المئة ألف إنسان يقول لك: ليس هناك إله، حتى الذي يرتكب المعصية الفاجرة يقول لك: الله وفقني بهذا.



إذاً: الإيمان من دون تطبيق لا قيمة له إطلاقاً، أما هذه الدائرة الكبيرة التي كل من فيها يقول: الله موجود، هو مؤمن بمعنى من معاني الإيمان، لذلك يقول الله عز وجل :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا آَمِنُوا ﴾

[سورة النساء: 136]

ضمن الدائرة الكبيرة دائرة أصغر، ما مضمون هذه الدائرة الصغرى ؟ الذي آمن بالله، وحمله إيمانه على طاعته هذا الإيمان المنجي، هذا الشرط الأول للانتصار أن نكون مؤمنين حقاً أي يحملنا إيماننا على طاعة الله، على إقامة أمر الله في أنفسنا، وفي بيوتنا، وفي أعمالنا، هذا الشرط الأول شرط لازم غير كاف، أتكلم معكم بكتاب الله من أجل أن تفهموا حقيقة ما يجري، نحن لسنا مؤمنين بالمفهوم القرآني، إقرارنا بأن الله موجود لا يقدم ولا يؤخر، قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾

[سورة الأنفال: 33]

إذا كانت سنة النبي فينا، منهجه فينا، مطبقاً في كل شؤون حياتنا فنحن في مأمن من عذاب الله.

البند الثالث: إعداد القوة:

الآن الشرط الآخر، قال تعالى:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾

[سورة الأنفال: 60]



لا يكفي أن نؤمن، ولا يكفي أن نعدّ لهم، نقمة الله لا ترد بالسيوف وحدها، ترد بالتوبة، والإنابة، ثم بإعداد العدة فقط، ليس هناك طريق إلى النصر إلا هذا الطريق الذي جاء في القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿ وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة الروم: 47]

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾

[سورة الأنفال: 60]

ولكن من رحمة الله بنا أنه كلفنا أن نعد ما نستطيع لا ما يكافئ قوة أعدائنا، أما هذا الفرق الكبير بين ما نستطيع وما يحتاجه عدونا من قوة يتولى الله ترميمه برحمته وعنايته، وجزء من انتصار المؤمنين بفضل الله وعونه، وتأييده وتوفيقه ونصره.

لذلك أيها الإخوة الكرام، هيّئوا أنفسكم كي تتقبلوا التحليل التوحيدي، التحليل السماوي، والتحليل القرآني، ولا تعبأ بالتحليلات الأرضية الشركية، ووطنوا أنفسكم ثانية أن تؤمنوا بالحل القرآني، قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾

[سورة الأنفال: 33]

((من قال: لا إله إلا الله بحقها دخل الجنة، قيل: وما حقها ؟ قال: أن تحجزه عن محارم الله))

[الترغيب والترهيب عن زيد بن أرقم بسند فيه مقال]



لا بد من عودة إلى الله، لا بد من صلح معه، ولا بد من إعداد العدة المتاحة فقط، والله يتولى ترميم الفرق بين قوتنا وقوة أعدائنا، وليس هناك حل ثانٍ، والناس يريدون حلاً آخر، اتفاقيات، تطبيع علاقات، دعم دولة قوية فقط، يريدون أن يبقوا على ما هم عليه من تفلت، من معصية، من اتباع للشهوات، من تحقيق المصالح، ولا يعبؤون بشرع الله، والله لا أمل أبداً أن ننتصر إلا إذا تبنا إلى الله، وأنبنا إليه، ثم أعددنا العدة المتاحة فقط، اعتمد التحليل القرآني للأحداث، اعتمد الحل القرآني للأحداث.

أيها الإخوة الكرام، شيء آخر، لو أننا، ونرجو الله أن ننتصر، لو أننا انتصرنا صدقوا لكان هناك شرق أوسط جديد إسلامي، أصبحنا أنداداً لأعدائنا، هم لا يروننا إطلاقاً، لا يعبؤون بكلامنا إطلاقاً، ولا باجتماعاتنا، هم يروننا أننا ضعاف، متخلفون، متخاذلون، متفرقون، متشرذمون، أما إذا رأونا قوة واحدة، أنبنا إلى الله. والله سمعت هذا مئات المرات، أن أعداءنا الصهاينة يقولون: ينتصر علينا المسلمون إذا كان عدد المصلين في صلاة الفجر كعددهم في صلاة الجمعة، سمعت هذا عشرات المرات، نقلاً عن زعماء من أعدائنا، متى ننتصر عليهم ؟ إذا كان عدد المصلين في صلاة الفجر كعددهم في صلاة الجمعة.

أيها الإخوة الكرام، أحياناً الأحداث تعطي المؤمنين شحنة جديدة يمكن أن ننتصر، يمكن إذا أعدنا فرضية الجهاد أن يكون الجهاد قوة فعالة لنا، حينما ييأس الناس، حينما يستكينون، حينما يحبطون، حينما يتوهمون أن الله تخلى عنهم، وأنه لن تقوم للإسلام قائمة يعطينا الله دفعة تنشيط يُمكّن هذا العدو المتغطرس الذي يتوهم المسلمون جميعاً أنه قوة لا تقهر، يمكن أن يمرغ بالوحل، يمكن أن يفقد صوابه، يمكن أن يشك بقياداته، والذي حصل أننا كنا مستضعفين في الأرض، أما الآن، قال تعالى:

﴿ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ﴾

[سورة النساء: 104]

عندهم صفارات الإنذار، وعندهم ملاجئ، وعندهم نزوح، وعندهم جرحى، وعندهم قتلى، وعندهم تعطل الحياة الاقتصادية، وعندهم إلغاء الموسم السياحي:

﴿ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ ﴾

[سورة النساء: 104]

حقائق لا بد من توضيحها

الحقيقة الأولى: النصر الاستحقاقي:

أيها الإخوة الكرام، لا بد من توضيح بعض الحقائق، الله عز وجل حينما ينصر المؤمنين، لأنهم كما ينبغي اعتقاداً وسلوكاً ينصرهم بفضله ورحمته وعدله، هذا النصر سماه العلماء نصراً استحقاقياً، حينما ينصر الله المؤمنين لأنهم كما ينبغي اعتقاداً وسلوكاً، بفضله ورحمته وعدله، هذا النصر يسمى النصر الاستحقاقي، قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾

[سورة آل عمران: 123]

الحقيقة الثانية: النصر التفضلي:

وحينما ينصر الله المؤمنين، وهم ليسوا كما ينبغي اعتقاداً وسلوكاً ينصرهم برحمته وفضله بدل عدله بحكمته، هذا النصر سماه العلماء نصراً تفضلياً دليله قال تعالى:

﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ، فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ، فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة الروم]

هذا النصر تمّ في عهد أصحاب رسول الله، والذين فرحوا به هم أصحاب رسول الله، والذين انتصروا هم أهل الكتاب على عباد النار، انتصر أهل الكتاب بفضل الله ورحمته وحكمته، لذلك بعض من يدعو ربه يقول: يا رب، إن لم نستحق النصر الاستحقاقي فانصرنا تفضلاً يا رب العالمين، ولا تشمت بنا أعداءنا.

الحقيقة الثالثة: تقييم الأشخاص من شأن الله وحده:



أيها الإخوة الكرام، تقييم الأشخاص من شأن الله وحده، فأرح نفسك من تقييم الأشخاص، كان عليه الصلاة والسلام عند أحد أصحابه الذين توفاهم الله فسمع امرأة تقول: هنيئاً لك أبا السائب، لقد أكرمك الله، لو أن النبي سكت لكان كلامها صحيحاً، قال: ومن أدراك أن الله أكرمه ؟ قولي: أرجو الله أن يكرمه، وأنا نبي مرسل لا أدري ما يفعل بي ولا بكم.

أرح نفسك من تقييم الأشخاص، احكم على الناس بالظاهر، واترك إلى الله السرائر، لا تنصب نفسك حكماً على المسلمين، لا تكفر بالتعيين، من قال كذا فقد كفر، هناك كفر اعتقادي، وهناك كفر قولي، وهناك كفر عملي، لا تقيم الأشخاص من انتماءاتهم التاريخية، قيمهم من أقوالهم وأعمالهم، ودع سرائرهم إلى الله، هذا الموقف الإسلامي الصحيح، قيمهم من أقوالهم، ومن أعمالهم، ودع سرائرهم إلى الله، نحن نحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر، أما أن تتألى على الله، و تحكم على هذا بالكفر، وهذا بالإيمان، وهذا مصيره إلى الجنة، وهذا إلى النار فليس هذا من شأنك، لك الحق أن تقول: من قال كذا فقد كفر، هذا من واجبك، فلا تكفـِّر بالتعيين.

أيها الإخوة الكرام، الإسلام واحد موحد، الحرب بين حقين لا تكون، وبين حق وباطل لا تطول، وبين باطلين لا تنتهي.

الحقيقة الرابعة: النصر التكويني:

تحدثت قبل قليل عن النصر الاستحقاقي، ثم تحدثت عن النصر التفضلي، ثم هناك نصر تكويني، إذا كان المتحاربان شاردين عن الله فالأقوى هو الذي ينتصر، الذي يملك سلاحاً متطوراً هو الذي ينتصر، الذي يملك أقماراً صناعية هو الذي ينتصر، الذي يملك المال هو الذي ينتصر، الذي يملك الإعلام هو الذي ينتصر، الذي يملك التحالفات هو الذي ينتصر، نحن بين نصر استحقاقي ونصر تفضلي ونصر كوني.

الحقيقة الخامسة: الإسلام واحد موحد:

أيها الإخوة الكرام، أؤكد لكم مرة ثانية أن الإسلام واحد موحد، وأن الخلافات بين الفرق الإسلامية ليس لها وجود في أصل الدين، نحن صنعناها من أجل أهوائنا ومصالحنا، قال تعالى:

﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ ﴾

[سورة آل عمران: 19]

هناك اختلاف طبيعي، اختلاف نقص المعلومات، قال تعالى:

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ ﴾

[سورة البقرة: 213]

أما أهل الكتاب قال تعالى:

﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ ﴾

[سورة آل عمران: 19]

أي حسداً، إذاً الإسلام واحد موحد، وكل الاختلافات بين الفرق الإسلامية لا وجود لها في أصل هذا الدين، أقدم لكم مثلاً واحداً، ذكر أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن الصفحة الثالثة والأربعين بعد المئة، والنص طويل جداً يزيد على صفحتين اخترت لكم بضعة أسطر أن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما قبض أبو بكر رضي الله عنه قال: " رحمك الله أبا بكر كنت، إلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنسه، وكنت ثقته وموضع سره، كنت أول القوم إسلاماً، وأخلصهم إيماناً، وأشدهم يقيناً، وأخوفهم لله، وأثبتهم على الإسلام، وأحسنهم صحبة، وأرفعهم درجة، وأشبههم برسول الله هدياً ورحمة وفضلاً، وأشرفهم منزلة، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسوله خيراً، كنت عنده بمنزلة السمع والبصر، صدقت رسول الله حين كذبه الناس، واسيته حين بخلوا، وقمت معه حين قعدوا، سماك الله في كتابه صديقاً، حيث قال:

﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾

[سورة الزمر: 33]

الإسلام واحد، كل الخلافات بين الفرق الإسلامية من صنع المسلمين، اخترعوها، افتروا بها من أجل مصالح، من أجل أهواء، قال تعالى:

﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ ﴾

[سورة آل عمران: 19]

أي حسداً بينهم.

الحقيقة السادسة: الإسلام دين توقيفي لا يحتمل الزيادة ولا النقص:

أيها الإخوة الكرام، مرة ثانية: هذا الدين العظيم دين الله توقيفي لا يقبل الحذف، إن حذفنا منه اتهمناه بالزيادة، لما حذفنا منه الجهاد، و قبل حين لا يستطيع الإنسان أن يلفظ بكلمة جهاد، لما حذفنا الجهاد منه من أجل أسيرين دُمر بلد بأكمله، دمرت بنيته التحتية، دمرت أبنيته، قتل أبناؤه، نساؤه، أطفاله، من أجل أسيرين، و عندهم عشرة آلاف أسير، وأسروا ثمانية وزراء، وثلاثين عضو مجلس تشريعي، ورئيس المجلس، بأي مكيال يكيلون ؟ هذا المجلس تمّ انتخابه وفق أنظمة الغرب، وفق الديمقراطية بإشارة منهم، وبإشراف منهم، هم معتقلون، هذا القوي لا تحاول أن تخاطبه أبداً، قوِ نفسك، و اضربه، لأنه لا يحترم إلا الأقوياء.

الحقيقة السابعة: الغرب لا يحترم إلا القويّ:

أيها الإخوة الكرام، يُعلمنا التاريخ الإسلامي أننا إذا حذفنا منه ما عُلم منه بالضرورة كالجهاد ضعفنا، و تفنن أعداؤنا في قهرنا، و في نهب ثرواتنا، و في السيطرة علينا، وفي إملاء إرادتهم، وثقافتهم علينا، وفي منعنا من تعليم أولادنا مبادئ ديننا، هذه الفريضة يجب أن تعود كما كانت، هي الطريق الوحيد، سمها إن شئت مقاومة، مصطلحها في الدين الجهاد، لابد من أن نكون أقوياء، وإلا والله فهم يخبئون لنا من الخطط ما يشيب له الولدان، نسأل الله جل جلاله أن ننتصر في هذه الحرب السادسة، إذا انتصرنا أرجو الله أن يكون هناك شرق أوسط جديد، لا شرخ أوسخ حقير.

قصة وعبرة: الوحدة الوحدة، وإياك

أيها الإخوة الكرام، دققوا في هذه القصة التي نزل فيها قرآن، كان النبي عليه الصلاة والسلام رحيماً بأمته من بعده، تمثلت هذه الرحمة في حرصه الشديد على وحدتها و قوتها، فكل ما من شأنه أن يوحد أمته، ويقويها، وأن يجمع شملها، وأن يرص صفوفها أمر به، وكل ما من شأنه أن يفرقها، أو أن يشتتها، أو أن يضعفها نهى عنه، لقد دعا النبي عليه الصلاة والسلام إلى الأخوّة الحقيقية التي تتجسد في الاتحاد والتضامن، والتساند والتآزر، والتعاون والتكاتف، لقد حذر من التفرق والاختلاف، والعداوة والبغضاء والتشرذم.

يتبدى ذلك من سنته القولية والعملية.

أطوار القصة:

حدث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهودياً في المدينة المنورة غاظه ما رأى من ألفة المسلمين، غاظه ما رأى من صلاح ذات بينهم، بعد الذي كان بينهم من العداوة و البغضاء في الجاهلية، فأمر شاباً على شاكلته يهودياً أن يجلس مع الأوس والخزرج، وأن يذكرهم بيوم بعاث، وهو من أيام الجاهلية يوم اقتتالهم، وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوه من أشعار فتفاخر القوم، ثم تنازعوا ثم تواثب رجلان من الحي، ثم تقاولا، فقال أحدهما: إن شئتم رددناها الآن جزعة أي حامية، وغضب الفريقان، وكادت تقع فتنة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج إليهم غاضباً وقال لهم: يا معشر المسلمين، اللهَ الله أبدعوى الجاهلية، وأنا بين أظهركم ؟ أبعد أن هداكم الله إلى الإسلام، وأكرمكم به وقطع به عنكم دعوى الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألّف به بينكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً.

فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان، وكيد من عدو لهم، وبكوا، وعانق الرجال بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله سامعين مطيعين.

نتائج القصة:

لقد وصف النبي عليه الصلاة والسلام الخصومة بالكفر، ثم إن الله عز وجل أنزل بهذه الحادثة قرآناً، فقال تعالى:

﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آَيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

[سورة آل عمران: 101]

والنبي عليه الصلاة والسلام يقول فيما رواه الإمام مسلم عَنْ جَرِيرٍ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ:

((اسْتَنْصِتْ النَّاسَ، ثُمَّ قَالَ: لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ))

الذي يقتل أخاه المسلم كافر بنص هذا الحديث:

((لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ))

معاً لإسقاط ورقة الطائفية المتعفّنة

مرة ثانية، بيد أعدائنا ورقة رابحة أخيرة إن شاء الله، هي إثارة الفتن الطائفية، وبوعي من إيمانكم، وإخلاصكم، وحكمتكم، وحرصكم على أمتكم، حرصكم على وحدتكم فيما بينكم ينبغي أن تسقطوها من أيديهم، أرادوا إقامة شرخ كبير في لبنان، الذي حصل هو العكس، نسأل الله النصر والتوفيق.

المحتويات